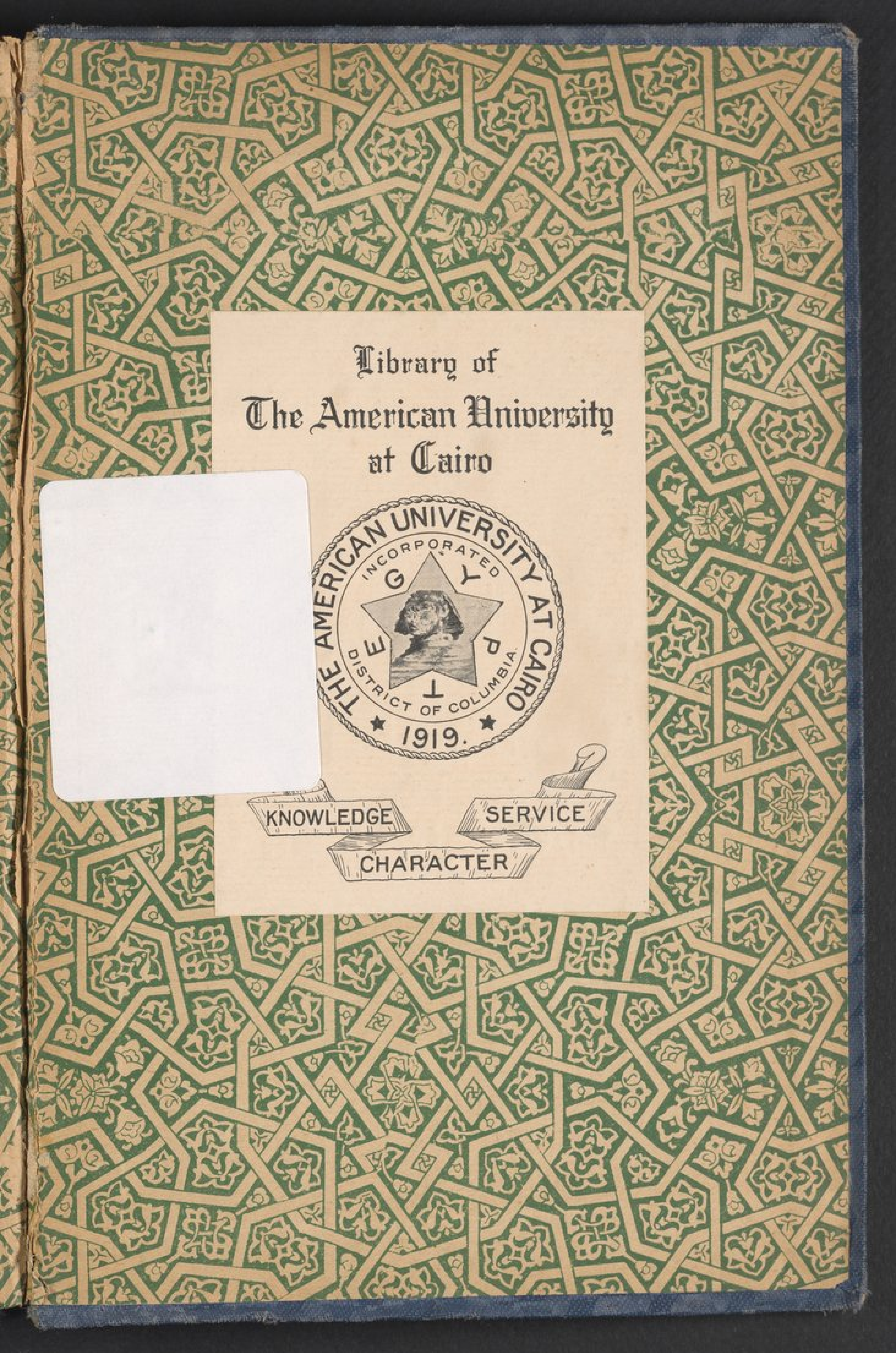
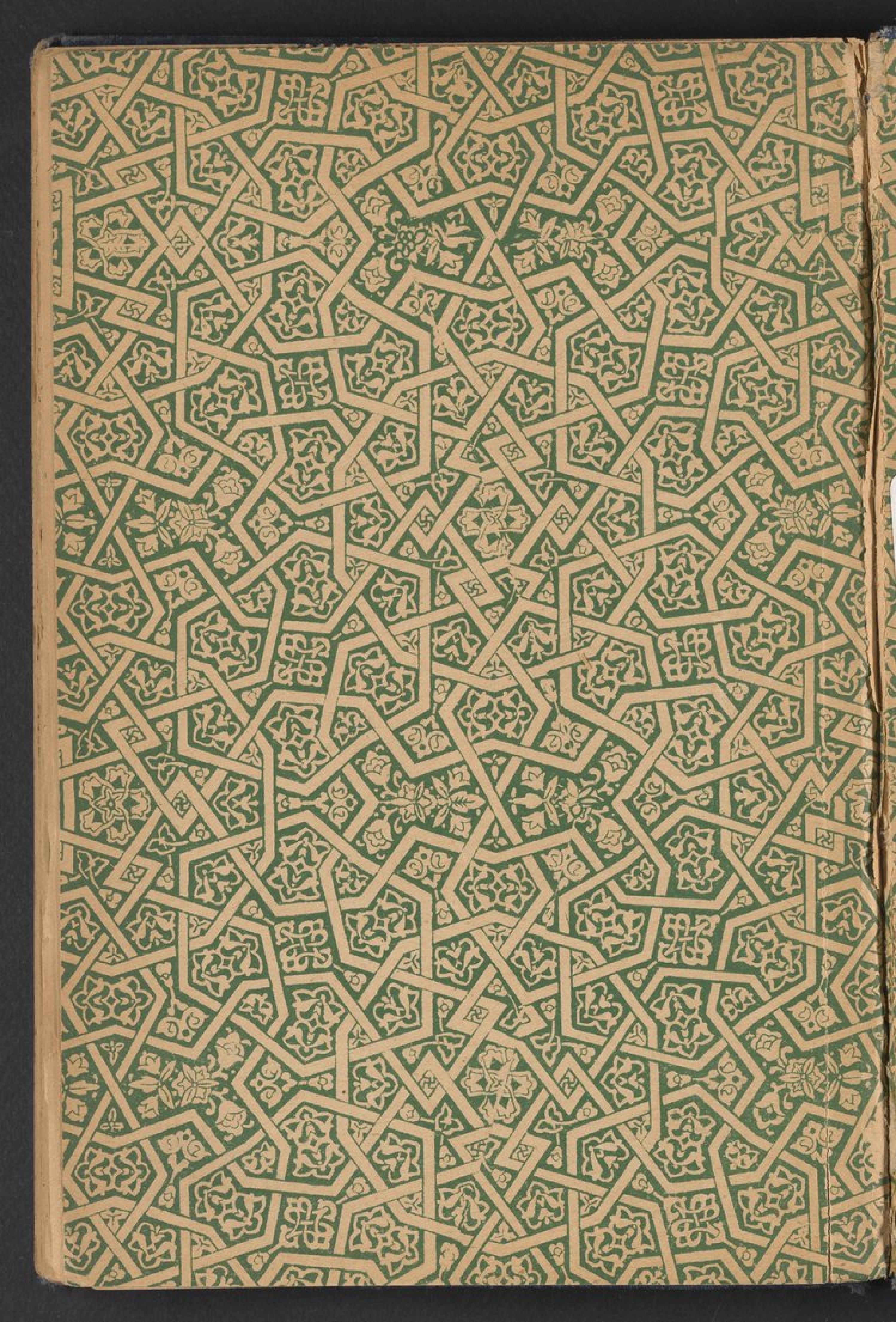
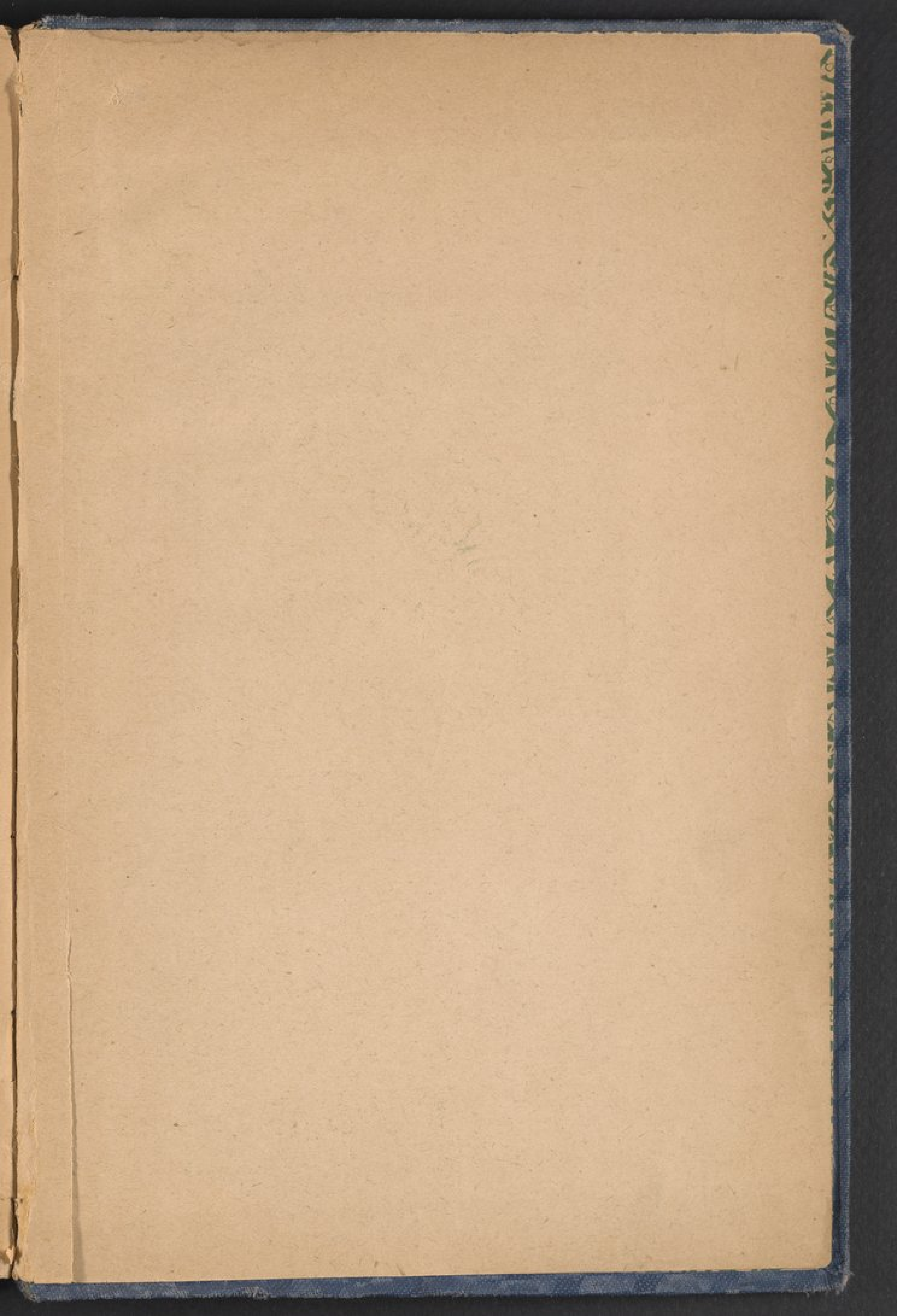

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 01096 1971







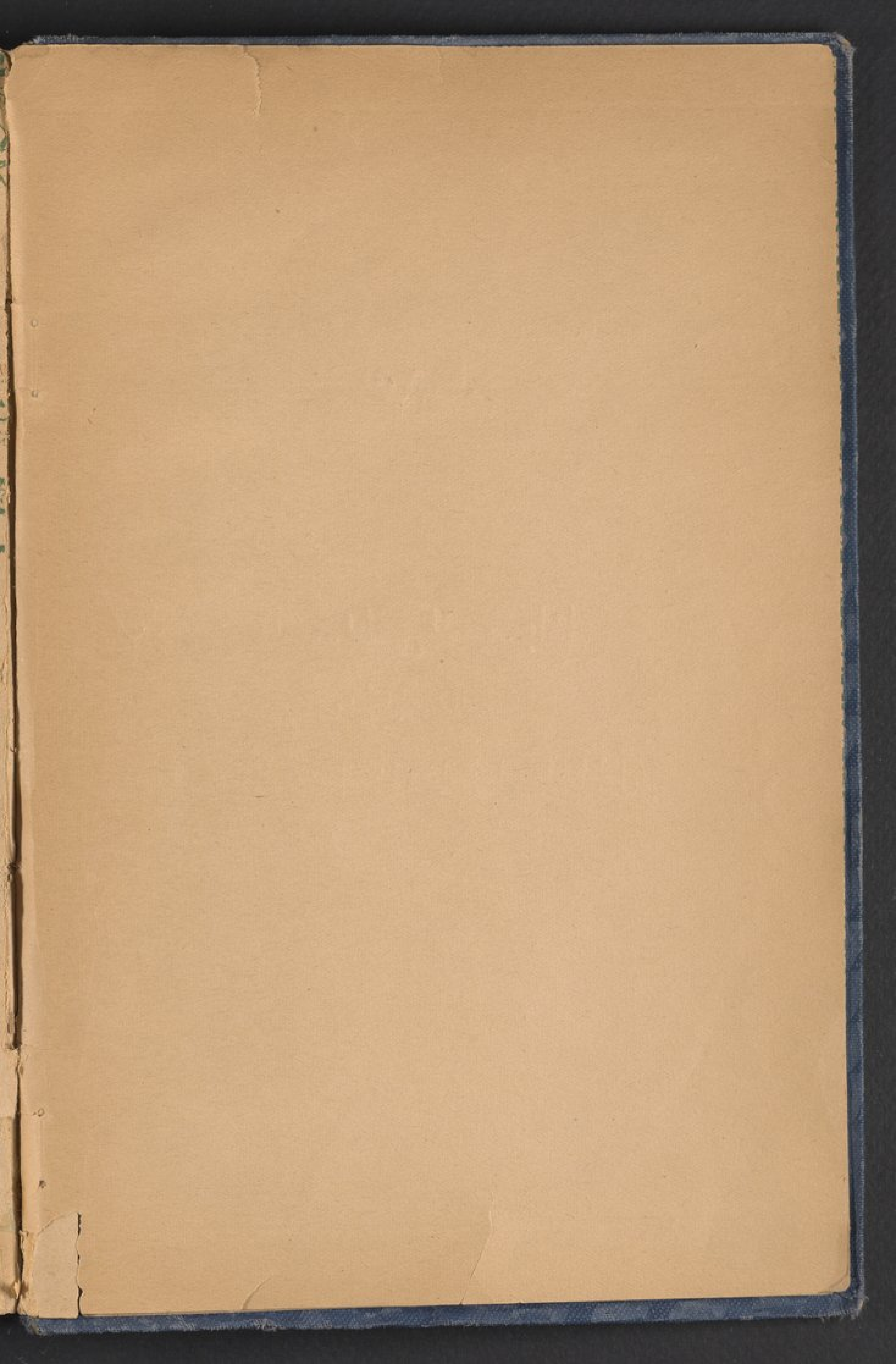
الإهداء

إلى الأستاذ الكبير :

احمد لطفى السيد باشا

مدير الجامعة المصرية

اعترافاً بما له من الفضل على أهل هذا الجيل



مصر

في قيصرية الإسكندر المقدوني

٣٣٢ - ٣٢٣ ق . م

عن أوثق المصادر

بقلم

اسماعيل مظهر

عضو المجمع المصري للثقافة العلمية

طبع على نفقة

مكتبة النهضة المصرية

لأصحابها: حسن ويوسف محمد وأخوتهما

١٥ شارع المدابغ تليفون ٥١٣٩٤

القاهرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٩٣٧

كلمة تصدير

هـذه أول رسالة من مجموعة رسائل عزمت على نشرها فى تاريخ مصر ، تعريفاً لأبناء النيِّلِ بشىء مما عانت بلادنا خلال العصور القديمة من أحـداث الزمن ، وتـكاليف الحكم الذى تعاقبت عليها صوره بعـد سقوط دولة الفراعنة ، ودخول مصر فى دور الاستعمار الأوربى ؛ وقد ظل مخيما على ضفاف النيل زهاء ألف سنة قبل الفتح العربى .

ولعـل باحثاً يتساءل عن السبب الذى حـدانى إلى اختيار هذا العصر ، ليكون فاتحة رسائل أنشرها فى تاريخ مصر ؟ ولعل لمن يتساءل عذراً فى تساؤله ، إذا لم أُبِن عن السبب فى اختيارى هذا .

أما السبب فينحصر فى أن دخول مصر فى حوزة القيصرية المقدونية التى أسسها الأسكندر المقدونى الأكبر ، كان فاتحة عصر جديد ، يفصل بين عصر الفراعنة ، وعصر الاستعمار الأوربى ، وهو عصر أخذت فيه البلاد

شكلا جديداً غير الشكل الذى لابسها خلال عصر الفراعنة بطوله . هذا إلى أن كل غزو أجنبي ، قبل غزو الإسكندر ، لم يكن غزواً ذا آثار ثابتة ، طبعَ البلاد بطابَعٍ خاص :

« فقد استطاع المصريون ، عقيب كل غزو دهمتهم به أمة أجنبية « كالهكسوس » وغيرهم ، أن يستردوا حريتهم المرّة بعد المرّة ، وأن يقيموا على عرش بلادهم أسراً من الفراعنة ، تحيي تقاليد الحكم والثقافة واللغة ؛ تلك التقاليد التى نشأت وربت فى مدى عصور لا تعيها الذكريات . ولكن هذه الغزوة ، كانت آخر عهد ملوك الفراعنة ، الذين تجرى فى عروقهم الدماء الوطنية ، بالحكم على ضفاف النيل ، وإلى آخر الدهور . فمنذ فتح الأسكندر ، خضعت مصر ألف سنة لحكّام هِلينيِّي الحضارة من مقدونيين ورومان ، وفى نهايتها صارت مصر جزءاً من جسم الإسلام ، فَبُدِّلت تبديلاً ، وأصبحت لها لغة أخرى ، ونظام اجتماعى لا عهد لها به ، ودين جديد ، ونُبِذَ الآلهة الذين عبدوا فى مصر على أنهم آلهتها الخواص الآلاف من السنين نبذاً أبديا ، ثم دفنوا فى ثراها »[1] .

---

(١) من متن الكتاب .

ولا شك فى أن تغييراً كبير الأثر كهذا التغيير ، إذا انتاب أمة من الأمم ، طَبَعَهَا بطَابَع جديد ، ووجَّه سياستها الاجتماعية والدوليـة وجهة جديدة ، وأخرجها من حال التجانس التى أَلِفَتْها فى عهودها الأولى ، بحيث يجعل لتاريخها فى عصرها الجديد ، من الجِدَّة ، ما يصح أن يُتَّخذ درساً تسترشد به الأجيال . وكان هـذا سبباً فى أن أبدأ رسائلى التاريخية بهذا العهد ، دون ما سبقه من العهود .

ولسوف أعقِّب على هـذه الرسالة برسائل أخرى . الأولى : فى « بَطْلَمْيُوس الأوَّل — سُوطَر » — والثانية : فى « بَطْلَمْيُوس الثانى — فِيلادِلفُوس » — ثم برسالة فى « نظام الحكم والإدارة فى عصر البطالمة » . ثم أتناول بعد ذلك « أواسط عصر البطالمة » ؛ وأختم البحث برسالة فى « نهاية عصر البطالمة » ؛ وربما أفردت « كليوپطرا » بكتاب خاص . فإذا فرغت من ذلك بدأت بتاريخ مصر فى عهـد الرومان ؛ وهو عصر لا أعرف أن كتاباً عربيا قد عُنِىَ به من قبل .

ولعلى بذلك أكون قد مهدت طريق الدرس ، لمن يريد الوقوف على طرف من تاريخ مصر الخالدة .

اسماعيل مظهر

مصر

فى قيصرية الأسكندر المقدونى

٣٣٢ — ٣٢٣ . ق . م

غزو مصر

فى خريف سنة ٣٣٢ قبل الميلاد ، غزا مِصْرَ جيش من المقدونيين والإغريق ، عِدَّتُه أربعون ألف مقاتل. وكان « الأَسْكَنْدَر » ، ملك مقدونيا الحَدَثُ ، على رأس ذلك الجيش يقوده ، كما قاد قبل سنتين من ذلك التاريخ ، وكان قائداً عاما لقوى الدُوَيْلاَت الهِلِّينِيَّه[1] . [١] ، جيشاً هاجم به القيصرية الفارسية العظيمة.

موقعتا غرنيقس وإسوس

وقبل أن يصل مصر ، هزم جيشاً جمعه الولاة[2] الفارسيّون على نهر غِرَنِيقَس »[3] [٢] ، فى أسيا الصغرى ، وجيشاً آخر فى « إسُّوس »[4] [٣] ، على شاطئ سُورية ، كان يقوده « دَارَا » [٤] ، العاهل الأعظم بنفسه . وإذ ذاك ، تقلَّص ظلُّ القوَّات الفارسيّة عن شواطئ البحر المتوسّط

---

(١) الأرقام المحصورة بين أقواس فى درج الكلام تدل على رقم كل من التعليقات التى ألحقناها بهذا البحث ، والاطلاع عليها ضرورى لمن يريد استيفاء العلم بالأشخاص والمواقع والحوادث .

(٢) Persian Satraps — العمال الفارسيون ويقصد بهم الولاة .

(٣) Granicus

(٤) Issus

الشرقيّة كلّها ، ما عدا مصر ، وكان يحكمها « مَزَا كِس »[٥] ، نائبا عن عاهل الفرس ، أو بالأحرى نيابة عن « سَبَا كِس »[٦] وَالِي مصر ، الذى تركها ليلحق بالملك « دَارَا »[٧] فِي « إسُّوس » . وأضحى من المحتوم أن يبسط « الأَسْكَندر » سلطانه على مصر ، وربّما تطلّع إلى امتلاك « قُورِيْنة »[٨] [٥] أيضا ، ليُمْعِن نحو الغرب ، قبل أن يتوغّل فى فجاج الشرق وممالكه . ذلك بأنّ أعداءه كانوا لا يزالون أقوياء فى البحر ، وليس له أسطول حربى يستطيع به مناجزتهم . فلم يكن له من خطّة رشيد ، تُؤَمِّنُ قاعدته الحربيّة ، إلاّ أن يملك كلّ الثغور الحافّة من حول بحر الرُّوم ، فيذر الأساطيل المعادية هائمة ضَالَّة ، لا تجد ملجأ للترميم أو التَّموُّن . ومذ ذَاك ، بدأ جيش اليونان ، وبالأحرى الإِغْرِيق ، كما كان يدعوهم المصريون [٦] يجوس خلال أرض الفراعنة القديمة .

ضرورة غزو مصر

تأمين الأسكندر قواعده الحربية

ولم يكن الجند الإغريقى من المَرَائِى الجديدة على المصريين ؛ ففى عهد « هِيرُودُوتَس »[٩] [٧] ، أى قبل العهد الذى نتكلّم فيه بقرن كامل ، كان المصريون ينظرون

---

(٥) Mazakes — (٦) Sabakes — (٧) Darius — (٨) Cyrene — (٩) Herodotus

المصريون والأغارقة فى القرن الخامس ق . م

إلى الأغارقة نظرة احتقار ، على أنّهم أجانب أنجاس . ولكن حدث ، فى مدى تلك الفترة ، أن دارت المواقع الوطنيّة مع الفرس ، فناصر مُلوكَ مصر الوطنيين ، قُوَّاتٌ

تحالف مصر واليونان تجاه الفرس

حربيّةٌ أرسلت بها الدُوَيْلاتُ الإغريقية ؛ وحارب المصريون والإغريق ، متَّحِدِين ، عدوّهم المشترك .

وقبل أن يهبط الأسكندر مصر بعشر سنين ، كان الفرس قد طردوا آخر ملوك الفراعنة ، واسمه عند اليونان

نقطانيبو آخر ملوك الفراعنة

« نِقْطَانِيبُو »(١٠) [٨] ، ووطّدوا حكمهم على ضفاف النيل . فلمّا وفد جيش « الأسكندر » ، متوّجًا بانتصاراته العجيبة ، خيّل إلى المصريين أنّ الإغريق ، كما عهدوهم ، الأصدقاء الأقوياء المنقذون . وكانت الحرب مع الفرس تدور سجالاً ، والمصريون واليونان ، لا يزالون الأحلاف الطبيعيين . ولم

اليونان يهبطون مصر غزاة لا أحلافا

يدر بخَلَدِ المصريين إذ ذاك ، أنّ اليونانيين قد هبطوا مصر هذه المرّة غُزَاةً ، لا أحلافًا . فى حين أنّهم ما يمّموا شطر مصر ، إلاّ ليخضعوها ويحكموها ، حكمًا أحزم من حكم الفرس ، وأطول مَدًى .

ولقد استطاع المصريون ، عقيب كلّ غزو دهمتهم

---

(١٠) Nectanibo

به أمّة أجنبيّة « كالهِكْسُوس »(١١) وغيرهم [٩] ، أن يستردّوا حرّيتهم المرّة بعد المرّة ، وأن يقيموا على عرش بلادهم أسراً من الفراعنة ، تحيي تقاليد الحُكْمِ والثقافة واللغة ؛ تلك التقاليد التى نشأت وَرَبَت ، فى مدى عصور لا تعيها الذكريات . ولكن هذه الغزوة ، كانت آخر عَهْدِ ملوك الفراعنة ، الذين تجرى فى عروقهم الدماء الوطنيّة ، بالحكم على ضفاف النيل ، وإلى آخر الدهور . فمنذ فتح الأسكندر ، خضعت مصر ألف سنة لحكّام هِلِّينِي الحضارة(١٢) [١٠] ، من مقدونيين ورومان ؛ وفى نهايتها صارت مصر جزءًا من جسم الإِسلام ، فَبُدِّلت تبديلاً ، وأصبحت لها لغة أخرى ، ونظام اجتماعى لا عهد لها به ، ودين جديد ، ونُبِذَ الآلهة الذين عُبدوا فى مصر على أنّهم آلهتها الخواصّ الآلاف من السنين ، نبذًا أبديًّا ، ثمّ دُفنوا فى ثراها .

أسر الفراعنة واستقلال مصر

آخر عهد الفراعنة بالحكم على ضفاف النيل

مصر والإسلام

ولم يشغل المصريون أنفسهم بتوقّع شىء من هذا ، فرحّبوا بالأسكندر فى سنة ٣٣٢ ق . م . ترحيبهم بالمنقذ المحرّر . لهذا سقط الحكم الفارسىّ فى مصر ، من غير أن

(١١) The Hyksos (١٢) Hellenistic Civilisation

تدور موقعة واحدة . وكانت الحامية الفارسية من القوّة بحيث استطاعت أن تقضى على جيش جمعه أفّاق[١٣] إغريقى يدعى « أمُنْتَاس »[١٤] ، كان قد حارب فى صفوف الجيش الفارسى فى « إسُّوس » ؛ وبعد أن انتهت تلك المواقع أغار على مصر بثمانية آلاف مقاتل . والغالب أنّ الوطنيين تألّبوا عليه فى النهاية ، لكثرة ما أمعن نهبًا وتخريبًا . ولكن لم يفكّر مصرى واحد فى منابذة جيش الأسكندر .

أفاق إغريقى يغزو مصر

حتى أنّ « مَزَاكس » ، العامل الفارسى ، قد أمر المدن المصرية مبتدئًا بمدينة « فِلُوسْيُوم »[١٥] [١١] ، أن تفتح أبوابها للغازى الجديد . وبعد أن ترك الأسكندر حامية فيها ، تقدّم بجيشه على فرع النيل الشرقى ، فبلغ « هِلْيُوبُولس »[١٦] [١٢] أوّلاً ، ثمّ « مِمْفِيس »[١٧] [١٣] ثانيًا . ويقول « كِيرْتيُوس »[١٨] [١٤] : إنّ « مَزَاكس » سلّم الأسكندر عندما هبط « مِمْفِيس » ثمانمائة طالنطن[١٩] ،

مزاكس : العامل الفارسى يسلم مصر للأسكندر

---

(١٣) Greek Adventurer — أفاق : يضرب فى الآفاق مكتسبا (القاموس المحيط ٢٠٩ : ٣) (١٤) أمنتاس Amyntas بضم الميم لأن الحرف — y — إما أن يقلب فى كل اسم ينقل عن اليونانية أو اللاتينية « واوا » أو « ضمة » بحسب الظروف . (١٥) Pelusium

(١٦) Heliopolis (١٧) Memphis (١٨) Curtius

(١٩) Talent . الطالنطن كيل توزن به الفضة والذهب فهو من الفضة يزن ٢٥٠ جنيهاً ، ومن الذهب ١٠٠٠٠ جنيه .

الأسكندر فى قصر فرعون

وكلّ نفائس القصر الملكى . ولأوّل مرّة ، تربّع مقدونى ، ملكاً فى قصر فرعون .

وتروى قصّة ، كتبت فى مصر خلال القرن الثالث بعد الميلاد على الأرجح ، أنّ الأسكندر قد احتفل بتتويجه فى معبد « فِتَاح »(٢٠) [١٥] بمِمْفِيس ؛ فأقيمت له الشعائر ، التى كان يقيمها فى مثل هذه المناسبات ، قُدَامَى الفراعنة .

الاحتفال بتتويج الأسكندر فى معبد فتاح

ويعتقد مستر « مَهَفِى »(٢١) [١٦] أنّ هذه الرواية جزء من تقليد قديم ، يتضمّن حقيقة تاريخيّة ، لا شكّ فيها . ويحتمل أن تكون هذه الرواية صحيحة . ولكن ينبغى لنا أن نعِي أن هذه القصّة قد لُفِّقَت تَلْفِيقًا إرضاء لشعور المصريين القومى ، وإظهارًا للأسكندر بمظهر الوارث الصحيح لملوك مصر الأقدمين . فقد لفّق كاتبها ، أو هو حاول على الأقلّ أن يروج ، أسطورة أنّ الأسكندر هو فى الحقيقة ابن « نِقْطَانِيبُو » ، الذى كان ساحرًا ، فانسلخ فى صورة أُفْعُوَان ، ليتمكّن من مخالطة زوج الملك « فِيلُبُّس » [١٧] المقدونى(٢٢) . ومن هنا يستدلّ ، على أنّ عبارته فى تتويج

أسطورة نقطانيبو

---

(٢٠) Ptah (٢١) Mahaffy

(٢٢) King Philip of Macedon والد الاسكندر ، وزوجه الملكة أوليباس Olympias

الأسكندر بمدينة « مِمْفِيس » ، تلفيق رمى به إلى غَرَضٍ ، يشابه غرضه الأوّل [١٨] .

احترام الأسكندر آلهة البلاد

عندنا بجانب هذا ، ما يثبت أنّ « الأسكندر » قد أبدى احتراما بيّنا لآلهة البلاد ؛ وكان سلوكه على نقيض سلوك غُزَاة الفرس ، الذين تحدّوا الشعور القومى بذبح

الفرس يذبحون العجل أبيس

العجل « أبِيس » (٢٣) [١٩] المقدّس . فإنّ الأسكندر عندما هبط « مِمْفِيس » ، قَرَّب للعجل المقدّس قربانا ، وضحّى لغيره من الآلهة . ولا ننسى أنّ دين الفرس ، كدين العبرانيين ، جعلهم ينظرون إلى عبدة الأوثان من الأمم الأخرى ، نظرة احتقار . بيد أنّ الاغريق ، مهما كان اعتقادهم فى تفوّق ثقافتهم على ثقافة غيرهم من الأمم الهمجيّة ، قد اخِذُوا بشعور عميق من الخشية والمهابة ، إزاء تقاليد

التقاليد المصرية تبهر الاغريق

تبلغ من القدم مبلغ التقاليد المصرية . ولقد عُوِّدُوا أن ينظروا إلى مصر نظرة أنّها بلاد العجائب . وكانت أشعار « هُومِيرُوس » (٢٤) [٢٠] التى تلقح بها عقولهم منذ الطفولة ، قد وصلت مصر بعصر البطولات البائد ، الموغل فى القدم . فالإفراط فى القدم ، والآثار المهيبة ، بَلْهَ عظمتها وضخامتها ،

---

(٢٣) Apis   (٢٤) Homer

والهياكل ، ومظاهر العيش القديم واستمرارها ، بَلْهَ ما يحوطها من الغموض والإبهام والغرابة فى كثير من مرائيها ؛ ومَنْظَر البلاد ، وما توحى به الأرض التى يغذّيها النيل المحجوب الأسرار من موحيات الفتنة ، عَامَّةُ ذَا قد زوّد الفكرة فى مصر بمجموعة فذّة من الملابسات ، ثبتت فى عقليّة الاغريق . . . وها هم يجدون أنفسهم فوق تلك الأرض العجيبة أسيادًا ، يمرحون تحت أقبيتها (٢٥) ، وفى ظلال نخيلها ؛ وكان آباؤهم يظنّون أنّها أرض طَرُوحٌ ، جَمّة الغرائب ، كثيرة الأعاجيب .

الأسكندر حامى الثقافة الهلينية

غير أنّ « الأسكَندر » ، بالرغم من توسّله بالقرابين لآلهة مصر ، لم ينس أنّه حامى حمى الثقافة الهِلِّينِيَّة . فأقام فى « مِمْفِيس » ملعباً رياضيًا ، وأحيا حفلا موسيقيا على النمط الاغريق ، شهد مبارياته بعض من أشهر مشاهير الأغارقة ، من المُوسِيقَارِيِّين والممثّلين . ولكنّ لنا أن نَتَساءل : كيف اتَّفق أن يجد « الأسكندر » أولئك المُفْتَنِّين فى ذات الوقت الذى طلبهم فيه ، وفى المكان الذى أعْتَدَهُ لإقامة الزينة ، على بضعة أميال فى مصر العليا ؟

---

(٢٥) pylons

رأى للمؤرخ نييس

يقول « نِييس »(٢٦) أنّهم لا بدّ من أن يكونوا قد نُدِبُوا سَلَفاً وفى زمن سابق ؛ ويتّخذ من وجودهم برهانا على أنّ « الأسكندر » كان قد اتّفق « ومَزَاكِس »(٢٧) ، الوالى الفارسى ، على أن يسلّم زمام مصر إليه ، من قبل أن يبدأ غزوته . أمّا « مَهَفِى »(٢٨) ، فيظنّ أنّ وجودهم لم يكن إلاّ مصادفة ؛ ويرجح أنهم ربّما كانوا قد وَفدُوا — « ليحيوا فصلا تمثيليا فى نُقْرَاطيس »(٢٩) — [٢١] عند أصدقاء لهم من الأغارقة ، فكانوا على أهبة تامة ، لما دعاهم « الأسكندر » إليه . على أنّ لنا أن نذهب مع التصوّر فى تعليل هذا الأمر كلّ مذهب ، من غير أن نطمع فى أن نصل إلى معرفة حقيقته .

تأسيس الأسكندرية

أمّا أبقى أعمال الأسكندر فى مصر ، وأعظمها شأنا ، فتأسيس مدينـة « الأسْكَنْدَرِية » . فى صيف سنة ٣٣٢ ق . م . فتح الأسكندر مدينة صُور(٣٠) [٢٢] ، وهى أعظم الثغور التجارية فى شرق البحر المتوسّط وخرّبها . وقد يحتمل أن يكون « الأسكندر » قد رمى من وراء تخريبها إلى تأسيس ثغر جديد فى مصر يكون بمثابة

---

(٢٦) Niese — (٢٧) Mazakes — (٢٨) Mahaffy — (٢٩) Naucratis . — (٣٠) Tyre

« صور المقدونيّة » ، [٢٣] فيحلّ فى عالم التجارة محلّ تلك ، أو يشرفها منزلة وقيمة[٣١] . فاختاز منزلا يبعد أربعين ميلا عن « نُقْرَاطِيس » ، المستعمرة المصرية الاغريقيّة ، ويتّصل وداخليَة البلاد بفرع « كَنُوبَس » النيلى[٣٢] [٢٤] . أمّا اختيار الموقع الذى شِيْدت عليه المدينة ، فقط بعث المؤرخين أن يتساءلوا : لِمَ اخْتِيرَت القرية المصرية الحقيرة « رَقُوطِيس »[٣٣] لتعمر وتصبح إحدى عواصم الدنيا ؟

مصاب النيل والملاحة البحرية

كان مصبُّ « كَنُوبَس » النيِّلى ، قد اتّخذَ مرفأ لتفريغ المتاجر القليلة التى كانت ترد مصر عن طريق بحر الروم ، الخاضع لأمم أجنبيّة . ومن بين المصبات النِّيلية الأخرى ، كان المصبّ « الفِلُوسِىُّ »[٣٤] [٢٥] دون غيره صالحا للملاحة ، ولكن لسفن لا تزيد عن سفن الصيد المعروفة حجما . ولا يعزب عنّا أنّ مصبّ « كَنُوبَس » كان يعتوره حاجز شديد الخطورة على الملاحة . فإذا أمكن للسفن التجارية أن تدخل مصبّ النيل لترسو ، أمكن كذلك

---

(٣١) عن د . ج . هوجرث — D. G. Hogarth من كتابه الاسكندر فى مصر (سنة ١٩١٥) ف ٢ ص ٥٥

(٣٢) Canopic Branch of The Nile

(٣٣) Rhacotis وتعرف عند مؤلفى العرب باسم راقوده .

(٣٤) Pelusiac Mouth of The Nile

لسفن الأسطول الحربى المقدونى ، أن تجد مرفأ أميناً ترسو فيه قطعه الكبيرة ، وقد أصبح من واجبات ذلك الأسطول ، منذ غزو « الأسكندر » ، أن يحرس بحر الروم . غير أنّ دخول السفن مصابّ النيل وخروجها منها ، والحالات التى كانت تقوم فى البرّ ، وكلّها غير مواتية ، لا من ناحية الصحّة ، ولا من ناحية الأمن ، قد أدّت إلى الإحجام عن اتّخاذها قواعد بحرّية . ولكن عند « رَقُوطِيس » ، وعلى بضعة أميال غربا ، وقع « الأسْكَنْدَر » على مرتفع جاف من الحجر الكلسىّ ، يعلو مستوى الدِّلتا ، ويسهل تزويده بمياه صالحة للشرب وافية بحاجات الملاحَة ، تأتى بها من داخل البلاد قناة يغذّيها « النيل » . وأُلْفِىَ أنّ ذلك المرتفع لا يتأثّر بالطمى الذى يأتى به فرع « كَنُوبَس » ويوجّهه رأس « أبو قير » إلى البحر . ناهيك بأنّ هنالك جزيرة ، إذا وصلها بالبرّ حاجز خارجىّ ، أصبحت بمثابة مرافئ متّصلة ، تصدّ الرياح البحرية عن الميناء ، مهما اشتدّ عصفها ، وفى أى فصل عصفت . وكان هذا المنزل الموقع الأوحد ، الذى يمكن أن يشاد من فوقه ميناء صحىّ سهل الاتّصال بالبحر ، تركن إليه الأساطيل المقدونية ، وعلى الأخصّ قطعها الحربية ،

موقع الأسكندرية

الأسكندرية ميناء صحى سهل الاتصال بالبحر

وكان تفريغ حمولتها ، وغاطسها المائى ، قد أخذا يزيدان معاً فى ذلك الوقت[٣٥] .

وذكر « استرابون »[٣٦] [٢٦] أن ذلك المرتفع كان يشغله ، عندما وقع عليه « الأَسْكَندر » ، قرية من قرى الصيد . قال :

كلام لاسترابون فى موقع الأسكندرية

« لمّا كان ملوك مصر الأوّلون قد قنعوا بما تغلّ لهم الأرض ، فلم يطمعوا يوما فى الواردات الخارجيَّة ؛ وحملتهم هـذه القناعة على أن ينظروا إلى الأجانب نظرة العداء ، وعلى الأخصّ إلى الإغريق ، إذ كانوا يعتقدون أنّهم طلاّب سلب ، وبهم طمع فى استعمار البلاد الأخرى ، لضآلة ما بين أيديهم ، وقلّة ما عندهم من خيرات ، أقاموا فى تلك البقعة نقطة عسكرية ، تصدّ غارات المعتدين ، وأسكنوا الجند مكاناً يدعى « رَقُوطِيس » (راقودة) هو الآن من الأسكندرية ، ذلك الجزء الذى يشرف على أرصفة الميناء ؛ ولم يكن إذ ذاك إلاّ قرية صغيرة . وعهدوا بالبقاع المحيطة بذلك المكان إلى رعاة ، كانوا بدورهم ، ذوى قدرة على صدّ هجمات الأجانب » .

---

(٣٥) عن هوجرث D. G. Hogarth (٣٦) Strabo

وكان هؤلاء الرعاة بطنا من البطون ، عرفوا بقوّة الشكيمة والوحشيّة ؛ بل كانوا قطّاع طرق ، وسفّاحى دماء ، إذا جارينا « إلْيُوذُورَس »[٣٧] [٢٧] .

الأسكندرية وجزيرة فاروس

تجاه الموقع الذى اختاره « الأَسْكَنْدَر » ، وعلى ميل من الشاطئ ، كانت الجزيرة التى دعاها الإغريق جزيرة « فَارُوس »[٣٨] [٢٨] ، وطولها ثلاثة أميال ، وكانت فى زمن غابر ، سلسلة من الجزائر بعضها منفصل عن بعض . وذكرها «هُومِيرُوس»[٣٩] فقال : إنّها مكان تألفه الحيتان ، وتستلق على شِطْآنِه ، وأنّ فيها مرفأ حسناً . بل قيل إنّه فى الوقت الذى جاء فيه « الأسكندر » ليفحص عن الشاطئ ، كانت « فَارُوس » ، مأوى لصيّادين من الأهالى ، وأنّ « الأسكندر » وأخلافه من البَطَالِمَة ، أوّل من جدّد فى ذلك المنزل ميناء عالميا للتجارة .

الميناء المغمور

ولكن حدث منذ عهد قريب ، أن زوّد مسيو « جاستون جونديه »[٤٠] ، كبير مهندسى الموانى والفنارات فى مصر ، مَباحِثَ التاريخ بمبحث جديد ، أشكل على

---

(٣٧) Heliodorus (٣٨) Pharos (٣٩) Homer

(٤٠) Gastaon Jondet. Les portes submergés de L'ancienne Ile de Pharos (Memoirs Presentes a L'institut Egyptien) Vol IX. Cairo, 1916.

المؤرّخين أمره . فقد استكشف تحت سطح الماء ، وفى مواقع قد تبعد بعض الأحيان ربع ميل عن المكان الذى عرف أنّ جزيرة « فَارُوس » كانت تشغله ، بقايا عظيمة هائلة الضخامة من أبنية مرفئية ، وحواجز لصدّ الأمواج ، وأرصفة ممّا يبنى فى الموانى البحريّة . ولا يزال أمرها رهن البحث : أهى جزء من أسكندرية الأغريق ، أم هى من أعمال عصر من العصور الغابرة ، خربت وتساقطت بقاياها من قبل أن يهبط الاسكندر تلك البقعة بأزمان طويلة . ؟

رأى جونديه فى الميناء المغمور

ينزع مسيو « جونديه » إلى الظنّ بأنّ الميناء المغمور بناها « رمسيس الأكبر »[٤١] [٢٩] ، ليتّخذها قاعدة يدفع بها غزوات الدول البحرية — « فإنّ كتل الموادّ التى استعملت فى البناء ضخمة هائلة ، شأن الكتل التى استخدمت فى كلّ الأبنية الفرعونيّة . ولا ريب فى أنّ نقلها إلى ذلك المكان ، وبناءها حيث هى ، كان عملا أشقّ من ترصيص تلك الأحجار الضخام ، التى يتألّف منها الهرم الأكبر[٤٢] » .

وعقّب عليه باحث فرنسىّ آخر ، هو مسيو « ريمون

---

(٤١) Ramases the Great

(٤٢) من مذكرة مسيو « جونديه » التى قدمها للمعهد المصرى للبحوث الأثرية .

رأى ويل فى الميناء المغمور

ويل[٤٣] » ، فقال إنّ هـذه الأبنية ، بقايا أعقبتها دولة إقريطش البحرية[٤٤] . [٣٠] التى نشأت فى الألف الثانية قبل الميلاد ، وامتلكت فى زمن ما ، على قدر مايحدس ، تلك البقعة من الشاطئ المصرىّ[٤٥] . ولكنّ الظاهر من الأمر ، أنّنا نكون أقرب إلى الرشد ، إذا تمهّلنا فى الحكم ، حتى تمتحن تلك الآثار ، وتبحث بحثاً أوفى . وعلى أيّة حال ، فإنّ هبوط تلك الأبنية تحت سطح البحر ، إنما يرجع إلى

انخفاض الأرض سبب فى غمر الميناء

انخفاض الأرض فى تلك البقعة فجاءةً ؛ إمّا باضطراب زلْزَالى ، وإمّا بانخفاض عادىّ حدث فى وقت ما ، فتناول مستوى الأرض [٣١] .

ولقد حدث منذ العصر الإغريقى الرومانى انخفاض فى أرض الأسكندرية ، بلغ سبعة أقدام ونصف فى المتوسّط . فيغلب أن تكون بقايا المدينة التى شيّدها « الأسكندر » ، والبطالمة من بعده ، مغمورة الآن تحت سطح الماء[٤٦] ؛ ممّا

---

(٤٣) Raymond Weill

(٤٤) The Cretan Sea - power

(٤٥) Les portes Antéhelleniques de la Cote d'Alexandrie et L'empire Cretois (Bull. de L'institut Francaise d'Archeologie Orientale (1919) tome XVI.

(٤٦) Breccia فى كتابه Alexandrea ad Ægypten ص ٦٦ و ٦٧ .

جعل مهمّة التنقيب الأثرى عن تخطيط الأسكندرية القديمة، أكثر صعوبة.

تخطيط الأسكندرية

من المعروف أن «الأسكندر» قد أنشأ مدينته على نَمَط الزّوايا القائمة المستقيمة، الذى كان طابع ذلك العصر فى تخطيط المدن الحديثة. وهو نمط ابتكره «هِفُّوذَامُس»[٤٧] المِلِيطِىُّ [٣٢] قبل ذلك العصر بقرن كامل. ويستدلّ من القصّة[٤٨]، أن الاسكندر استخدم مهندساً من أهل جزيرة «رُودِس» يدعى «ذِينُقْرَاطِسْ»[٤٩] [٣٣]، فكانت المدينة كما خطّطها مستطيلا يمتدّ على طول البقعة الواقعة بين بحيرة «مَرْيُوطِس»[٥٠] (مريوط) [٣٤] والبحر. وكان

مهرجان تخطيط الأسكندرية

المهرجان بوضع أساس المدينة يقام فيما بعد فى يوم ٢٥ من شهر «طوبى»[٥١] [٣٥]، ولذا يحتمل أن يكون قد أقيم فى يوم ٢١ من يناير سنة ٣٣١ ق. م.

أسطورتان عن بناء الأسكندرية

وتروى أسطورة، أنّ المهندسين خطّطوا المدينة ليشرف عليها «الأسكندر»، بدقيق أخذ من مخصّصات الجند، وأنّهم تفاءلوا بما سوف يكون للمدينة من عظمة

---

(٤٧) Hippodamus (٤٨) يقول ڤتروڤيوس (انظر ٣٤ تعليقات) أنه مقدونى. ولكن القصة فيما يتعلق بالتاريخ الموضعى للاسكندرية أكثر صدقا وأوثق سنداً. (٤٩) Dinocrates

(٥٠) Mariotis (٥١) Tybi

فى المستقبل ، مستبشرين بما حدث عند شروعهم فى وضع الدقيق من فوق الأرض . ولهذه الأسطورة روايتان ، تخالف إحداهما الأخرى ، بل تناقضها[٥٢] . [٣٦]

أول من سكن الأسكندرية

لا بدّ من أن يكون أوّل من سكن الأسكندرية ، خليط من المقدونيين والأغارِقَة . ولا علم لنا بالطريقة التى اتّبعها « الأسكندر » فى جلب الأسر التى كوّنت النواة الأولى من سكّان المدينة . وبعد فترة من الزمان ، كان الوطنيّون يؤلّفون العديد الأكبر من مجموع السكّان ، ولكنّهم لم يتمتّعوا بالحقوق المدنيّة ، التى كانت من حقّ غيرهم . وفى رواية سوف نعود إليها بعد ، أنّ عدداً كبيراً من المصريين الذين كانوا يسكنون « كَنُوبَس » ، قد أرغموا على الهجرة إلى المدينة الجديدة . وبالرغم من أنّ عدد العنصر اليهودى فى المدينة أصبح كبيراً بعد قليل من الأجيال ، فإنّ من المشكوك فيه أن تكون العبارات التى

اليهود وسكنى الأسكندرية

أوردها المؤرّخ « يُوسِيفُوس »[٥٣] [٣٧] عن « الأسكندر » ، وتشجيعه اليهود خاصّة ، على سكنى المدينة ، بمنحهم حقوقها المدنيّة ، صحيحة . فليس ثمّة من سبب يحمل « الأسكندر »

---

(٥٢) أثبتنا ملخص الأسطورتين فى ما علقنا به على هذه العبارة فليرجع إلى المادة ٣٦ تعليقات .

(٥٣) Josephus

على العناية بأمر اليهود ؛ فإنّهم لم يكونوا قد أصبحوا ، فى ذلك الوقت ، ذلك الشعب المتفوّق فى التّجارة والمالية . فإنّ « يُوسِيفُوس » قد قال عن أمّته فى القرن الأوّل بعد الميلاد : « لَسْنَا أمّةً تِجَارِيَّة » .

***

أما الحادثة الثانية التى تلى تأسيس « الأَسكندرية » مكانَةً وخَطَرا ، والتى وقعت للأسكندر خلال إقامته الشتوية بمصر ، فزيارته لمعبد « أمُّون »[٥٤] ، كما يدعو الأغارقة الإله « آمن »[٥٥] [٣٨] فى الواحة التى تدعى الآن واحة « سيوه »[٥٦] . وأوّل ما يصادفنا من المشكلات التى تحوم حول هـذه الزيارة ، البحث فى السبب الذى جعل « الأسكندر » يختار السفر مجتازاً الصحراء إلى — « المعبد المنفرد الذى يظلّله نخيل سيوه » — على مسيرة خمسة عشر يوماً على الأقلّ ، أو عشرين يوماً على الأكثر ، من وادى النيل . فى حين أنّ فى الوادى عدداً من معابد « آمن » المعروفة بضخامتها وقدمها [٣٩] .

زيارة الأسكندر معبد أمون

سبب هذه الزيارة

من الأسباب التى يعلّل بها ذلك أنّ « هاتف »[٥٧]

(٥٤) Ammon
(٥٥) Amen
(٥٦) Siwah Oasis
(٥٧) Oralce

« آمن » كان له فى تلك الواحة ، منذ أزمان ، منزلة كبيرة ، واحترام خاص ، فى العالم الإغريقى . ولقد استهداه « إكْرُوسَسْ »(٥٨)[٤٠] كما استهدى غيره من الهواتف الإغريقيّة العليا ، فى القرن السادس قبل الميلاد . وألّف الشاعر « فِنْدَارُوس »(٥٩)[٤١] نشيداً لأُمُّون . ويروى عن كثير من الإغريق ، منهم « إلْيَاوِيُّون »(٦٠) [٤٢] ، و « إسْبَرْطِيُّون »(٦١)[٤٣] ، « وأَثِينِيُّون »(٦٢) [٤٤] أنّهم أرسلوا سفراءهم إلى المعبد الأقدس ، لِيَسْتَهْدُوا الهاتف ، فى أيام قبل عصر « الأسكندر » . وتكلّم « أُورِيفِيدِس »(٦٣) [٤٥] عن منزل « أَمُّون » « الذى لا يأخذه المطر » ، كما لو كان منزلاً معروفاً عند الإغريق ، مشهوراً بينهم ، بأنه المكان الذى يؤمّه كلّ الذين يشعرون بالحاجة إلى النصح القدسىّ ، والهداية العلوية .

أسباب تاريخية للزيارة

تروى الأساطير الإغريقية أن « فِرْسَاوِس »(٦٤) [٤٦] و « هِيرَقْلِيس »(٦٥) [٤٧] ، ذهبا ليستنصحا أمُّون ، قبل أن يُقْدِمَا على مخاطراتهما . ويقول : « قَلِثْنِيس »(٦٦)

أمون فى الأساطير الأغريقية

---

(٥٨) Croesus (٥٩) Pinder
(٦٠) Eleans (٦١) Spartans (٦٢) Athenians
(٦٣) Euripides (٦٤) Perseus
(٦٥) Herakles (٦٦) Callithenes

[٤٨] الذى أصبح بعد تلك الفترة من خواصّ الأسكندر وملازميه ، أنّ ذكرى هذين البطلين ، كانت إحدى الأسباب القوية ، التى حملت « الأسكندر » على أن يقدم على هذه الرحلة[٦٧] . وإنه لامتهان لتقدير رجل عملى فى العصر الحديث ، أن يُنْسَبَ إليه التأثر بمثل هذا السبب . ولكنّ ذلك كان مواءماً جدّ المواءمة لِمزَاجِ « الأسكندر » . ولا شكّ فى أننا أزاء مشكل تاريخى . غير أنه لا يرجع إلى السبب الذى حمل « الأسكندر » عَلَى أن يستهدى الإله الكبشى الرأس وبالذات ، ولكن فى السبب الذى من أجله أصبح هذا المعبد الأقدس ، على بعده عن العالم المعمور ، وصعوبة الوصول إليه ، قِبْلَةً يحجّها الأغارقة ؟

عقلية الأسكندر وزيارة أمون

وغير خَفِيّ أنّ ما كان « لأَمُّون » من جلالة فى العالم الإغريقى ، إنما يرجع إلى نشوء مستعمرة « قُورِينْة »[٦٨] الإغريقية على الشاطئ الإفريقى ، فبالرغم من اتّصال « قُورِينْة » اتصالاً تجاريا دائما بغيرها من الدُّوَيْلاَت الإغريقية ، القائمة على شطآن البحر المتوسّط ، كانت تسير من « قُورِينْة » سفن تُحَاذِى الشاطئ الإفريقى ، فتصل

جلالة أمون فى العالم الأغريقى

(٦٧) استرابون Strabo ف ١٧ ص ٨١٤

(٦٨) Cyrene راجع المادة (٥) من التعليقات

بسهولة ثغر « فرَطُنْيُوم »(٦٩) [٤٩] على ثلاثمائة وأربعين وخمسة أميال شرقا . ومنه يسهل على القوافل الصَّحْرَوية ، أن تبدأ رحلاتها من الشاطئ موغلة فى الصحراء إلى سيوه ، فتصلها فى سبعة أيام على ظهر الإبل .

القورينيون حلقة وصل بين أمون والأغارقة

ويظهر من هذا أن « القُورِينِيّين » كانوا حَلْقَةَ الوصل بين معبد أَمُون الأقدس ، والعالم الإغريقى . وكان الطريق الذى يبدأ من ثغر « فَرَطُنْيُوم » هو الطريق الذى يسلكه الأغارقة ، إذا أرادوا الوصول إلى المعبد . ومما ينبغى أن نفطن إليه ، أنّ « هيرُودُوتَس » استقى معلوماته عن سيوة من « القُورِينيين » هنالك(٧٠) . وهــذا يُبِين عن مسألة تاريخية أخرى ، إذا تساءلنا : لماذا أَمَّ الأسكندر «فَرَطُنْيُوم» لما أراد الذهاب إلى سيوه ، ولم يخترق الصحراء مجتازاً وادى النَّطْرُون ، وهو الطريق الأقرب لمن يخرج من مصر إلى سيوه رأساً ، كما يقول « مَهَفِى »(٧١) . ؟

ينزع « هُوجَرث »(٧٢) إلى القول بأن الأسكندر إنما

(٦٩) Paraetonium

(٧٠) ذكر أفلاطون فى كتابه السياسة (ص ٢٥٧) أن ثيودورس القورينى ذكر أمون فقال إلهنا

(٧١) Mahaffy

(٧٢) Hogarth

الأسكندر والزعم بفتح قورينة

هبط « فَرَطُنْيُوم » زاحفاً من مصر ليمتلك « قُورِيْنة » ؛ فلما وفد إليه رسل تلك المدينة ، ومعهم بضع مئات من فحول الخيل الكريمة ، هدية وعنواناً على خضوع مدينتهم وولائها له ، عدل عن الزحف إليها ، وضرب بحملته فى مجاهل الصحراء ، ليزور معبد « أمُّون » .

فتح قورينة لم يذكره مؤرخ من ثقات الأقدمين

غير أن الحملة الحربية على « قُورِينة » لم ينوِّه بها مؤرّخ من ثقات الأقدمين . والرسل الذين وفدوا إلى «الأسكندر» من أهل « قُورِينَة » لم يذكرهم « أرْيان »(٧٣) . وربما كان ذكرهم راجعاً إلى ما كتب « إقْلِيطَرْخُوس »(٧٤) ، الذى استمد منه كلٌّ من «دِيُوذُورَس»(٧٥) [٥٠] و«كِيرْتِيُوس»(٧٦) أكثر ما كتبا ؛ وهو مصدر غير موثوق به . ولقد وثق « مَهَفِى » بعباراته ، حتى أنه اعتقد أن رسل « قُورِينَة » قابلوا « الأسكندر » بالفعل وأنهم مَثُلُوا بين يديه . غير أنه يحدس أنَّ هديَّتهم لم تكن خيلا ، وإنما كانت بضعة رجال من العارفين بمسالك الطرق إلى سيوه [٥١] .

وتروى كلّ الكتب القديمة أنَّ زحف «الأسكندر» إلى سيوة عن طريق الصحراء ، قد صحبته عدّة حوادث

(٧٣) Arrian
(٧٤) Clitarchus
(٧٥) Diodorus
(٧٦) Curtius

حوادث إعجازية فى زحف الأسكندر إلى سيوه

إعجازية . فقد هطلت على غير انتظار أمطار غزيرة ، أنقذت زحف « الأسكندر » من آلام العطش الشديد . وتقدّم الركب غرابان ، كانا يطيران هنيهة ثمّ يحطان ، ليُبيِّنا عن الطريق الذى تحجبه الرمال السّافية . وكان يتقدّمه أفْعُوانان ، مرسلان صوتاً خاصا . ولاشكّ فى أنّ هذه الروايات ، إنما رواها رجال رافقوا الأسكندر إلى الشرق [٥٢] .

أما أكثر هذه الروايات بعثاً على الحيرة ، فرواية الأفْعُوانين . وقد رواها « بَطْلَمَيُوس » بن لاَجُوس(٧٧) [٥٣] . وهو إن لم يكن قد رافق حملة « الأسكندر » بالفعل — وليس لدينا ما يثبت أو ينفى أنه رافقها — فلا بدّ من أن يكون قد صاحب الذين رافقوها سنين عديدة . على أنّ

تعليل تلك الحوادث

تعليل هذه الروايات تعليلا معقولاً ، سهل هيّن . فنزول المطر لايزال إلى الآن من الظاهرات النادرة فى تلك الأنحاء . وليس من المستحيل أن يصادف المسافر غربانا وأفاعى فى عرض الصحراء . وإنّ ركبا حافلا يسير فى وحشة البيداء ، لابدّ من أن يثير الحيوانات التى تكون هنالك . ومن الطبيعى أن تفرّ إلى الجهة التى يتقدّم نحوها الزحف(٧٨) .

(٧٧) Ptolemy, Son of Lagos

(٧٨) عن مسپيرو Maspero

وقد نحصل على صورة ، ربما كانت قريبة أو بعيدة بعض الشيء ، عن حقيقـة الحالة التى كانت عليها واحة « هاتف أمُّون » فى ذلك العصر ، إذا وعينا ما انحدر إلينا من روايات القـدماء ، وأكثرها استفاضة رواية « دِيُوذورَس »[٧٩] ، وقسناها على الحقائق التى نعرفها عن سيوة فى عصرنا هـذا[٨٠] . فان هنالك قريتين : الأولى : « قرية سـيوة » ، والثانية : « قرية أُغُورْمِى » . وتبعد إحداهما عن الأخرى ميلين ؛ وتقوم كل منهما على صخرة ، مشرفتين على ما يحيط بهما من غياض النخيـل ، ومزارع الزيتون . وفى « أُغُورْمى »[٨١] بقايا هيكل أمُّون . وعند إبْطِ الصخرة التى تستوى من فوقها القرية ، بقايا معبد آخر أصغر من الأول ، يدعوه الأهلون اليوم « أُمّ عُبيدا »[٨٢] . ويقال إن هذه البقايا ، إنَّما تدل على أن المعبدين قد جدد بناؤهما ، فى خلال الحكم الفارسى .

واحة سيوه فى عصر الأسكندر

أما معبد « آمن » ، فان المشاهد يستبين فيه حتى اليوم ، وعلى مقربة من « نبع الشـمس »[٨٣] آثارَ جِدَار لبِنَاته

معبد أمون الآن

(٧٩) Diodorus (ف ١٨ ص ٥٠)

(٨٠) انظر بلجريف D. D. Belgrave — فى كتابه سيوه — ١٩٢٣

(٨١) Aghurmi (٨٢) Ummebiedah

(٨٣) Fountain of The Sun

حجارة مربوعة ، تسيّج حظيرة طولها خمسة وعشرون يرداً[٨٤] ، وعرضها ثمان وأربعون . أما الهيكل نفسه ، فيحتوى على عدد من الأفنية والقاعات ، بعضها يقوم على عَمَد ، وبعضها لا عَمَد له ، والكلُّ فى خراب شامل . وفى نهاية المربع الرئيسى ، يقع المحراب الأقدس . أما الحجرتان اللتان كانتا تسلمان إليه ، فقد بادت معالمهما ، حتى ليصعب أن تُعَيَّنَ مواقع الأبواب التى كانت تؤدى إليهما . أما المحراب ، والجزء الأمامى منه ، فقد بقى منهما حتى الآن أجزاء كبيرة .

المحراب فى معبد أموث

وكان المحراب حجرة يبلغ طولها ثلاثون قدماً ، وعرضها يتراوح بين عشرة أقدام وثلاث عشر قدمًا ، تحيط بها من الداخل كتل من الصخر هائلة الضخامة ، ولا يزال عدد منها باقيا فى مكانه ، وقد نقش عليها ثلاثة سطور من الكتابات والصور على ما يظهر . . وهنالك كان يعيشُ آمن ، مُجلّلاً بالظّلام ، وزورقه المقدّس مستوعلى مذبح ، أو بالأحرى على مكعّب من الصحر أو الخشب ، قائم فى وسط المحراب .

---

(٨٤) مقياس انجليزى طوله ٩١٤ ر ٠ سم .

زورق أمون كما يصفه الأقدمون

ووصف قُدَامَى المؤرخين الزورق فقالوا : « إنه من الذهب » ؛ والمقصود بهذا إنه كان من الخشب ، الموشّى بصفائح من الذهب . ولا شك فى أن طوله كان أقلَّ من طول المحراب ، بمقدار سبعة أو ثمانية أقدام . وقد يتخيّل الإنسان صورة منـه ، إذا نظر فى النقوش البارزة التى فى الأُقْصُر والـكَرْنَك ، والتى تظهر فيها زوارق « آمن » الطِّيْبِي نحيلة عالية ، وقد ازدانت مقاديمها ومآخيرها برأس الكبش ، ومَلاّحُوها من الآلهة ، وبضاعتها من القرابين ، ونواويسها نصف مغطّاة ببراقع بيضاء ، والوثن مَحْوِيٌّ فى داخل جدرانها الرقيقة .

وثن أمون كما يصفه الأقدمون

وعن « قَلِّثْنِيس » — « أن الوثن كان كتلة من الزمرّد ، والأحجار الكريمة . ولنا أن نتصوّره على مثال وثن من تلكم الأوثان المرصّعة ، التى كانت فى « دَنْدَرة »[85] مثلا ، وذُكِر أن ظاهرها يتألف من موادّ مختلفة ، ترصّع من فوق هيكل مصنوع من الخشب أو البرنز . ولم يكن الزمرد الذى ذكره المؤرخون عَيْنَ الزمرد الذى نعرفه ، بل كان من الأحجار التى أطلق عليها المصريين اسم «مفقَاط»[86]

(٨٥) بلدة قديمة فى صعيد مصر .

(٨٦) مفقاط Mafkat هو الفلسبار الأخضر ، ولم يعرف الزمرد الحقيقى إلا فى العصر الاغريقى (فلندرز پترى)

وعلى الأخص الفِلِسْبَار[٨٧] الأخضر أو حجر الزمرد[٨٨] ، وكان استعماله شائعاً فى خلال « العصر الصَّاوى »[٨٩] [٥٤] .

صفة وثن أمون

وكان الوثن كغيره من أوثان التنبّؤ ، مجبولاً بحيث يحدث عدداً من الاشارات ، فيحرك رأسه ، أو ينوح ذراعيه ، أو يشير بيديه . وكان يعهد إلى كاهن أن يشد الحبل الذى يحرك الوثن ، ثم ينطق بالنبوءة ؛ وكان الكل يعرفونه معرفة تامة . ولكن لم يدر فى خَلَدِ أحد أن يتهمه بالغش ، أو يرميه بالخداع . ذلك بأنه الأداة التى يستخدمها الآله ، وبالأحرى آلة مسيَّرة . وكان الروح يلبسه فى برهة خاصة ، فيحرك الوثن ، كما يحرك شفتى الكاهن بما يريد أن يقول . فالكاهن يعير يديه وصوته . ولكن الإله هو الذى يقدر أعماله ، ويُوحِي إليه بما يتفوّه به من كلمات[٩٠] .

كيف استقبل الأسكندر فى معبد أمون

أما حضور الأسكندر إلى الهيكل (وما حدث فيه) فيصفه « قَلَّثِنِيس » بما يأتى : « لم يُؤْذَن لغير الملك بالدخول إلى المعبد فى ثيابه العادية ؛ أما بطانته فأُمِرُوا بتبديل ثيابهم . ووقف الجميع فى الخارج يستمعون الوحى ، ما عدا

(٨٧) Felspar (٨٨) Feldspar

(٨٩) The Saite Epoch (٩٠) انظر كتاب مسبيرو : Etude de Mythologie et d'Archeologie Egyptiennes

« الأسكندر » فإنه دخل المحراب . ولم تكن النبوءات تعلن بالكلام ، كما هى الحال فى « دِلفِى »[(٩١)] [٥٥] « وبرَنخيدا »[(٩٢)] [٥٦] ، ولكن بالرموز والإشارات غالباً ؛ لأنّ المنبئ انتحل فى هذا عادة « زِيوس »[(٩٣)] ، أى « آمِن » . أمّا الذى قيل للملك فهو أنّه « ابن زيوس »[(٩٤)] .

قصة إقليطرخوس

هذه القصّة التى نقلت إلينا عن «إقلِيطرَخُوس»[(٩٥)] ، تنتهى بكثير من الإطناب والتنميق . فيسأل «الأسكندر» عمّا إذا كان الآله أبوه ، سوف يهبه حكم الأرض جميعاً ؟ فيرد الجواب بأنّ الآله سيحقّق له هذا . فيسأل ثانية : عمّا إذا كان الذين اشتركوا فى قتل أبيه « فِيلبس »[(٩٦)] قد عوقبوا ؟ فيصيح المنبئ : بأنّ هذا السؤال كفر . لأنّ الآله أباه ، لا يمكن أن يؤذى . على أنّ التوسّع الذى نشهده فى هذه الرواية ، قد يكون جزءاً من الأجزاء التى نمت بها أسطورة الأسكندر [٥٧] . تلك الأسطورة التى بدأت تنتشر وتذيع ، حتى قبل موته .

---

(٩١) Delphi (٩٢) Branchidae
(٩٣) Zeus زيوس . (٩٤) استرابون Strabo ف ١٧ ص ٨١٤ . (٩٥) Clitarchus . (٩٦) Philip الملك فيلبس المقدونى والد الاسكندر قتله فوزنياس Pausanius فى مؤامرة كبيرة فصلها جورج جروت فى كتابه تاريخ اليونان (٤٥٨ — ٤٦٣ : ١٢) .

صلة الأسكندر بأمون بعد مغادرة مصر

ولقد يصحّ من جهة أخرى أن « الأسكندر » عندما قفل راجعاً ، وتلقّى من آمون استيضاحاً بأن يدلى بالسبب الذى حَمَلَه على أن يضحّى لفئة خاصّة من آلهة الهند[97] [٥٨] ، أنّ مثل هذه الأوامر إنَّمَا صدرت عن الهاتف حقيقة . ومن المشكل علينا البتّ فى أمر هذه الاستيضاحات : أصدرت إلى « الأسكندر » حين زيارته التاريخية للمحراب الأقدس ، أم تلقّاها فيما بعد على يد رسل أوفدت إليه ؟ فإنّنا نعلم فيما يتّصل برفع « هِفَسْطِيُون »[98] إلى مرتبة الأرباب [٥٩] ، أن الأسكندر استمرّ يستهدى الهاتف ، فى أثناء سنين تالية ، بوساطة سفراء يوفدهم إليه .

الاسكندر ابن الآله الأعظم

وليس من سبب يجعلنا نشكّ فى أنّ « الأسكندر » قد استقبله كاهن « أمُون » استقبال من يعتقد أنّه ابن الآله الأعظم . ولقد عرف الآن أنّ هذا كان قاعدة مرعيّة مع كلّ ملك يتبوّأ عرش مصر . فإن كل الفراعنة ، منذ بداية الألف الثانية قبل الميلاد ، كانوا بحكم الرسميّات من أبناء « آمِن — رع »[99] . واتبَاعًا للقواعد المرعيّة ،

---

(٩٧) أريان ف ٦ ص ١٩ . (٩٨) Hephaestion راجع دائرة المعارف البريطانية طبعة ١٤ ص ٥٦٩ ج ١ (D) مادة الاسكندر الأكبر Alexander the Great.

(٩٩) See W. W. Tarn in J. H. S. xli 1921- P. 2. تارن فى مجلة الدراسات الهلينية ، مجلد ٤١ ص ٢ سنة ١٩٢١

كان « آمِن » يهب أبناءه — « رقاب كلّ الأحياء » — وكل الممالك ، وكلّ الشعوب » — « وكل الأرضين التى تغشاها دورة الشمس » .

الأسكندر وشعائر أمون

ولا يبعد أن يكون المؤرّخ « تارْن » على حقّ ، إذ يقضى بأنّ الأسكندر لم يقم بكلّ الشعائر ؛ إذا قصد بها العبادات الخاصّة ، التى كان من المحتوم على الملوك الوطنيين القيام بها . ولكن من الجلىّ ، أنه كان من المتعذِّر أن يُسْتَوْحَى الهاتف ، من غير أن تُؤَدَّى بعض الشعائر ، وبخاصّة تلك التى كانت تتضمّن عبارات تخصّ الملك القائم على عرش مصر ، بالبنوّة الآلهية وملكوت الأرض ، جرياً على العادة التى كان يتّبعها كهنة آمن ، عندما يستقبلون الفِرْعَون ، إذا وفد إليهم .

وليس بذى بال أن ينعت كهنةُ مصر « الأسكندرَ » بأنّه ابن « آمن » . ولكن الأمر الذى يلفت النظر ، أن يستمسك الأغارقة ، وعلى الأرجح أن يكون « الأسكندر » قد استمسك معهم ، بهذا القول ، وأن يصرّوا على الأخذ بما فيه من ظاهر الجِدّ أمام العالم .

استمساك الأسكندر والأغارقة ببنوته للاله

ويقول « هُوجَرْث »[١٠٠] [٦٠] — إنّ « الأسكندر » مضى ينتحل أنّه ابن « آمِن » حتى فى البلاد التى لم يكن « لآمِن » فيها من شأن ، وليس واضحاً أنّ شعائر الديانات التى شاعت فى أواسط أسْيا ، كانت تتضمّن عبارات أو تقاليد ، لهـا صور محدودة بيّنة ، كالتقاليد التى تتضمّنها العبادات المصرية ، من حيث إثبات بنوّة الملوك الفانين للآله الأبدى الأعظم[١٠١] . ولكن الثابت تحقيقاً ، وبالرغم من أن أتباع « الأسكندر » قد أمعنوا فى نسبة القدسيّة إليه ، تشريفاً له وتبجيلاً وهو على رأس زحفه ؛ وبالرغم من أنّ نقّاده من الإغريق وغيرهم ، قد أمعنوا فى التنديد بهذه القدسيّة والاستهزاء بها ، أنّ وجه تقديسه قد ظلّ قائماً على بنوّته لأمُّون .

تأليه الأسكندر فى الهيكل المصرى لا الأسيوى

على أنّ تاليه « الأسكندر » بعد موته ، ذلك التأليه الذى روّج له أتباعه ، خدمة لأغراضهم ومراميهم ، قد اعتبر فى أسيا الصغرى وسورية وبابل ، ومنذ أوّل القول به ، إلى نهاية الاعتقاد فيه ، تأليها فى الهيكل المصرىّ ،

(١٠٠) هوجرث — Hogarth (١٠١) غير ظاهر أن الفرس اعتبروا الاسكندر إلهاً أو ابن إله ، بالرغم من أن أشيلوس Æschylus يقول إنهم فعلوا

لا فى الهيكل الأسيوى . فقد كان من حظ الأغارقة ، وبخاصة من حظ الأمراء المحبّين لأهل الروم (١٠٢) ، أن يظهر الأسكندر على المسكوكات وله خصائص بطل كهيرقل مثلاً . أما إذا أريد أن يكون آلهاً كاملاً ، فإن قرنى « آمون » الكبشيين ، لا بدّ من أن تبرزا من خلال شعره الجميل . ومن هنا ذكر الأسكندر باسم « ذى القرنين » [٦١] ، فى القصص الشعبيّة التى ذاعت قبل الإسلام ، ثمّ ذكر فى القرآن ، وذاع فى المدوّنات التاريخية التى انتشرت فى نصف ممالك أسيا ، وكثير من بقاع إفريقية .

ذو القرنين

هذه الحقائق تحملنى على الظنّ ، أكثر ممّا يحملنى كثير من الشواهد الأخرى ، بأن « الأسكندر » مضى مصرّا على بنوّته « لأمون » ، حتى بعد أن غادر مصر ؛ وأنه اتخذ هذه البنوّة شعيرة دينيّة ، لازمته أينما حلّ وكان . ولكن أثرها كان يزيد قيمة أو يقلّ ، بحسب الأحوال .

***

(١٠٢) Phil-hellenistic — محب لأهل الروم — بدجر Badger ص ٧٥١

عودة الأسكندر من سيوه

وعاد الأسكندر ورفقته إلى مصر مخترقا وادى النطرون إلى « ممفيس » على ما يروى « بطلميوس » ؛ غير أن « أرسطوبولس » [١٠٣] [٦٢] يقول إنه عاد عن طريق « فرطنيوم » متبعاً نفس الطريق الذى أتى منه . غير أن « بطلميوس » فى هذا أوثق رواية . وشغل « الأسكندر » فى « ممفيس » باستقبال السفراء الذين وفدوا إليه من « الدويلات » الإغريقيـة ، وتلقى المدد الحربى من « مقدونيا » .

الأغارقة والمصريون

هنالك رأى أبناء البلاد أسيادهم الجدد يستظهرون بثقافتهم الموسيقية والرياضية فى حفلات عظيمة ، ويقدّمون القرابين والضحايا إلى « زيوس » على النمط الهلينىّ . ولكنّا نعلم أنّ اليونان كانوا يعتقدون أنّ هذا الآله ، باسمه الإغريقى ، وشعائره الإغريقية ، نظير « آمن » المصرى ، الذى أعلنت بنوّة « الأسكندر » له .

فى ربيع سنة ٣٣١ ق . م . وقد يكون ذلك بعد العودة من سيوة بشهر أو شهرين على الأكثر ، غادر « الأسكندر » مصر ليشدّ على ملك فارس فى « ما بين

---

(١٠٣) Aristobulus .

الأسكندر يغادر مصر

النهرين » . وقد نعرف أن جيشه سوف يعود إلى مصر مرة أخرى ، أما « الأسكندر » نفسه ، فلن يعود إليها . والغالب أن « الأسكندر » لم يشهد كثيراً من مناظر وادى النيل جنوبى « ممفيس » بالرغم من أن أثر الاحتلال المقدونى ، كان قد امتدّ إلى الشلال الأوّل ، بدليل ما يروى من أن « الاسكندر » قد أرسل « أفلونيذس الخيوس »(١٠٤) وهو إغريقى مالأ الفرس وسقط فى يد « الأسكندر » أسيراً ، إلى جزيرة « إلفنتين »(١٠٥) ليسجن بها .

مصر مستعمرة مقدونية

وترك الأسكندر مصر مستعمرة من مستعمرات القيصرية المقدونية الجديدة ، منظمة على قواعد ثابتة .

نظام الحكم فى مصر كما وضعه الأسكندر

فنصّب « الأسكندر » واليين(١٠٦) مصريين ، يحكمان مصر كلها . أحدهما « ذولاسفيس »(١٠٧) ، والثانى « إفطيسس »(١٠٨) ، وقسم حكم المملكة بينهما ، ولكن

---

(١٠٤) Apollonides of Chios (١٠٥) Elephantine

(١٠٦) قد نشك فى صحة ما ذكره أريان من اضفاء لقب الوالى — (nomarch) على أشخاص عهد إليهم بحكم مصر شمالا وجنوبا — انظر Holwein فى كتاب وصف المتحف البلجيكى ف ٢٨ سنة ١٩٢٤ ص ١٢٥

(١٠٧) Doloaspis (١٠٨) Peteesis : يقول فلندرز پترى : إن الأصل الاغريق يذكر Peleesis ولكن الأصول البردية تذكر الاسم بمعنى « هبة إيزيس » Gift of Isis ، والحقيقة أن اسمه الاغريق « إزيدورس » Isidorus . أما الاسم السابق Doloaspis فلا يعرف أنه مصرى ، ويلوح أنه فارسى

الثانى اســـتقال من منصبه ، فولى الأوّل الأمر كله . ونصّب قوّادا على الحامية[١٠٩] المقدونية . فجعل « فِنْطَاليُون الفُـــذناوى »[١١٠] فى « ممفِيس » ، و « فُوليمُون الفُـلاَّوى »[١١١] فى « فِلوسْيُوم » . وأَمَّر على الجيوش المرتزقة « لُوقيذَاس الأطولى »[١١٢] و « أُوغْنُوسْطوس بن زينُوفَنْطوس »[١١٣] وكيلا Grammateus — له عليها ، وهو أَحد الرفقاء[١١٤] . ومن فوق هؤلاء نصّب «أَشيلُوس»[١١٥] و«إيفيبوس الخلقيسىّ»[١١٦] مشرفين[١١٧] وعيّن «أُفُولُونيُوس ابن خَرينُوس »[١١٨] ، حاكما على لوبيا ؛ و « قَلْيُومِينِس النُّقْرَاطِيسى»[١١٩] على صحراء العرب المجاورة«لإيرُونبولِس»[١٢٠]

---

(١٠٩) Phrurarchion ton hetairon

(١١٠) Pentalion of phydna

(١١١) Polemon of Phylla

(١١٢) Lucidas the Ætolian

(١١٣) Eugnostus son of Xenophantus

(١١٤) hetairoi — وكان للأسكندر فرقة فى الجيش تدعى الرفقاء Companions وهم الذين نشأوا معه من أولاد نبلاء مقدونيا ، وكانت أقوى فرق الجيش المقدونى ، بل كان لها الأثر الأول فى فتوحات الأسكندر .

(١١٥) Æschylus

(١١٦) Ephippus of Chalcis

(١١٧) episkopoi

(١١٨) Apollonius son of Charinus

(١١٩) Cleomenes of Naucratis

(١٢٠) Heroonpolis مدينة « هيرونپولس » فى الصحراء الواقعة بين القاهرة والسويس وتعرف الآن باسم « تل المسخوطة » وكان الاقليم يعرف باسم المدينة

وأَمَرَه أن يترك الوُلاَةَ المصريين يحكمون ولاياتهم بحسب القواعد والعادات القديمة ، على أن يجبى منهم ما يفرض عليهم من الضرائب التى يجب أن يؤدّوها إليه . ونصّب « فِيُوقِسْطَاس »(١٢١) ، و « بَالاَقرُوس »(١٢٢) ، وهما من أشراف المقدونيين ، قائدين يقومان على شئون الجيش الذى تركه فى مصر . ونصّب « فُولِيمُون بن ثِيرَامِينِس »(١٢٣) أميراً على البحر . وقيل إنه عهد بحكم مصر إلى أيد كثيرة ، لأن طبيعة البلاد وقوّتها الحربيّة التى بهرته ، جعلته لا يأمن حصر السلطة كلّها فى يد رجل واحد(١٢٤) .

***

نظام الأسكندر فى مصر لم يعمر طويلا

فيما ذكر صورة من نظام يتعذّر علينا أن ندلى بتفاصيله . فقد قدّر لهذا النظام أن يكون قصير العمر جهد القصر . والظاهر أن حكم البلاد الفعلىّ ، لم يلبث أن انحصر ، حتى فى حياة « الأسكندر » نفسه ، فى يدى « قَلْيُومِينِس النُّقرَاطِيسى » ، وكان قد أصبح من سكان الأسكندرية الجديدة ، وأنّ النظام الذى وضعه الأسكندر

---

(١٢١) Peucestas (١٢٢) Balacrus

(١٢٣) Polemo son of Theramenes

(١٢٤) أريان ف ٣٠ ص ٥

قد بدّل ، إن لم يكن قد ترك جملة . ولمّا أراد أخلافه من من بيت « بَطْلميُوس » أن يضعوا للبلاد نظاماً جديداً ، أقاموه على قواعد أخَر . ومن مجمل مبادئ النظام الذى وضعهُ « الأسكندر » مستمدّا من الوصف الموجز الذى خلفه « أرْيَان » ، ندرك أنّه نظام ينطوى على كثير من التعقيد . فإن السلطة العليا وزّعت بين « فِيُوقِسْطَاس » و « بَالاَقرُوس » ، وعهد إلى « قَلْيُومِينِس » أن يتسلّم الضرائب . فى حين أن أمر جبايتها قد ترك للولاة الوطنيين . على أن المركز الرفيع الذى شغله إثنان من الوطنيين فى نظام « الأسكندر » ، أمر لم يتكرّر حدوثه فى حكم بيت « بطلميوس » ، حتى أخريات أيّامه .

تعقد النظام الذى وضعه الأسكندر

***

قليومينس يستأثر بالسلطة

كان « قَلْيومِينِس » ، على مايظهر ، من المهارة بحيث استطاع أن يستغلّ القوة التى استمدّها من سلطانه المالىّ ، فحصر السلطة الحقيقية فى يديه . ولقد اشتهر دِرَاكاً فى العالم الاغريقى بعدم أمانته ، وابتزاز أموال الدولة ، كما أنه أصبح مبغوضاً فى « أثينا » ، بسبب ما أحدثت نظاماته من غلاء فى ثمن القمح (١٢٥) . وتجد مثلا من طرقه العنيفة فى

(١٢٥) Demosthenes against Dionysodorus

كنز الأموال ، مذكورة فى كتاب فى « الاقتصاديات » Economics – ينتحل خطأ على « أَرِسطوطَالِيس » (١٢٦) .

وقد جاء فيه :

نقائص تعـزى إلى قليومينس

« لما وقع قحط شديد فى البلاد المجاورة ، ولكنه كان فى مصر أقلّ منه فى غيرها ، منع «قَلْيومِينس» والى مصر ، تصدير الغلال . ولما شكا جباة الأقاليم من أنهم لايستطيعون أن يدفعوا ما فرض عليهم من الإِتاوة ، نظراً لما يحدث هـذا المنع من كساد فى الأسواق ، عاد فأمر بتصدير الغلال ؛ غير أنه فرض عليها ثمناً عالياً ، لم يسمح إلا بتصدير جزء قليل منها ، فحصل بذلك على قدر كبير من المال ، كما ردّ بذلك حجّة الجباة التى كانوا يحتجّون بها ...

« وروى أنه كان مسافرا بحرا فى ولاية كان التمساح فيها إلٰهًا . فاختطف تمساح أحد عبيده . فجمع الكهنة فى جَمْهَرَةٍ ، وألقى إليهم بأنه لابدّ من أن ينتقم لنفسه ، تلقاء هذا التهجّم الطائش ، وأمر بأن يصاد تمساح ليمثّل به . فأجمع الكهنة أمرهم ، عساهم يحولون دون التشهير بآلهم وتحقيره . فجمعوا كلَّ ما استطاعوا جمعه من الذهب

(١٢٦) Aristotle

وأعطوه له ، فأرضوه بذلك وأمنوا شرّه . . . ويقال إن « الأسكندر » لما أمره أن يَشِيْدَ مدينة عند « فاروس » (الاسكندرية) وأن ينقل إليها السوق التِّجَارية التى كانت فى « كَنُوبَس » ، هبط تلك المدينة وأخبر كهنتها وأثرياءها ، أنه إنما وفد إليهم ليخرجهم من أرضهم . فجمعوا قدراً كبيراً من المال وأعطوه له ، ليبقى على سوقهم التجارية ، فغادر المدينة ومعه المال ، ولكنه عاد إليهم بعد فترة ، جهّز خلالها كلّ المواد اللازمة للبدء فى بناء المدينة الجديدة ، وطلب أن يعطوه قدراً من المال أكبر ممّا أخذ أوّلا ، بدعوى أنه وزن الفرق بين إبقاء السوق بمدينتهم أو نقلها إلى الاسكندرية ، بذلك القدر . فلما علم أنهم عاجزون عن ذلك ، نقلهم إلى المدينة الجديدة . . .

نقل سوق كنوبس التجارية إلى الأسكندرية

« ويروى أيضاً أنّ القمح كان يباع بسعر عشر درخمات لكلّ « مِدِمْنُوس »[(١٢٧)] فجمع الزّراع فى جمهرة وسألهم على أيّة قاعدة يستطيعون العمل ؟ فأجابوه بأنّهم يبيعونه القمح بثمن أقلّ من الثمن الذى يبيعون به للتجّار . فقال لهم أنّه يفضّل أن يبيعوه بنفس الثمن الذى يبيعون به بقيّة الناس .

---

(١٢٧) medimnus

غير أنّه حدّد ثمن القمح بعد ذلك ، فجعله ٣٢ درخمة ، وأخذ يبيع ما اشترى بهذا الثمن [١٢٨] . ثمّ جمع الكهنة وقال لهم إنّ نفقات معاهد الدين فى الدولة باهظة ؛ وإنّه لذلك يجب إلغاء عدد من الهياكل ووظائف الكهنة . فسارع الكهنة إلى المال يبذلونه له ، من مواردهم الشخصيّة ، أو من مخصّصات هياكلهم ، إذ تبادر إليهم أنّه سوف يختزلهم وكل منهم حريص على الاحتفاظ بهيكله وكهنوتيته [١٢٩] » .

حقيقة قليومينس

ومهما يكن من أمر ذلك ، فليس فى مقدورنا أن نحكم فى حَقيقة ما يستحقّ « قَليُومينِس » من سوء السيرة . فإنه من الهيّن ، بقليل من المهارة فى قلب الحقائق ، أن تظهر أية إدارة حكومية ، فيها قليل من الشدّة والعنف ، مجلوّة فى ثوب من الظلم والاستبداد . كما أنّ مصلحة بيت « بَطلَمْيوس » بعد موت « الأسكندر » ، كانت تتجه ، كما لا يخفى ، إلى تشوية سمعة « قَلْيومِينِس » . ونحن نعرف

---

(١٢٨) يظهر من ذلك أنه تخلص بهذه الطريقة من الوسطاء الذين يشترون من الزارع ، فحصل بذلك على المنفعة كلها للدولة .

(١٢٩) إذا أخذ من هذا أنه قيل للكهنة — « يجب إما أن تضحوا بشىء من مخصصاتكم ، وإما أن تخصوا الدولة بجزء كبير من مواردكم » — فان كل من يعرف مقدار الثروة التى كانت بين يدى الكهنوت المصرى ، يصعب عليه أن يلوم قليومينس .

أن « الأسكندر » لم يشأ أن يقصيه عن السلطة . وقد نقل المؤرخ « أرْيان » من كتاب يقال أنّ « الأسكندر » بعث به إلى « قلْيُومِينِس » العبارات الآتية :

« أما إذا وجدت معابد مصر ، وبخاصة « مقصورة » « هفسطيون » معنياً بها ؛ فإنى سوف أصفح عن خطيئاتك السابقة . وكلّ خطيئة تأتيها من بعد ذلك ، سوف لا ينالك عليها سوءاً منى »

كتاب مشكوك فيه

غير أن « مَهَفى » قد أظهر أن هذا الكتاب موضع شك . فقد ذكر منارة « فَارُوس » البَحْرِية ، وهى لم تُبْنَ إلا بعد موت « الأسكندر » بسنين عديدة . ومن الممكن أن يكون « قَلْيُومِينِس » قد حاوَلَ أن يظلّ حائزاً لرضى « الأسكندر » بأن يوجّه عنايته خاصّة إلى الأشياء التى يعرف أن « الأسكندر » يُعْنَى بها ، كتعمير الاسكندرية

مقصورة هفسطيون

ومقصورة(١٣٠) « Heroon » « هفسطيون » . ومما يجدر بنا ملاحظته أن « قليومينس » قد قُرِنَ اسمه بمدينة الأسكندرية فى القصّة المصرية التى أشرنا إليها فى

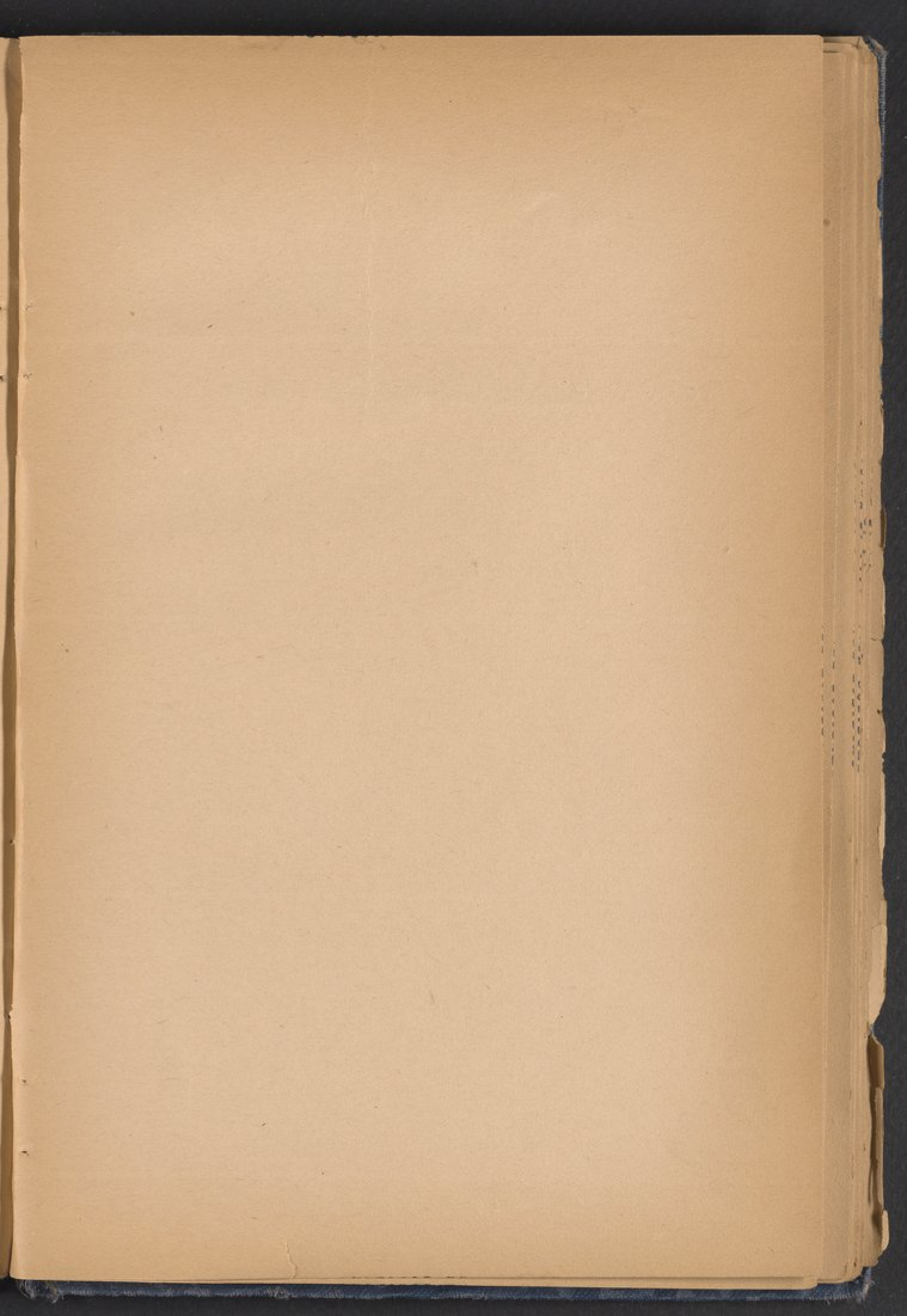
(١٣٠) Heroon : أى مقدس أو مقصورة ، من اللفظة اليونانية heiroon وهى تؤدى نفس هذا المعنى .

بداءة هذا البحث ، وبالأحرى قرن بتقاليدها المحلية ، مدى ثلاثة قرون بعد ذلك العهد .

* * *

موت الأسكندر

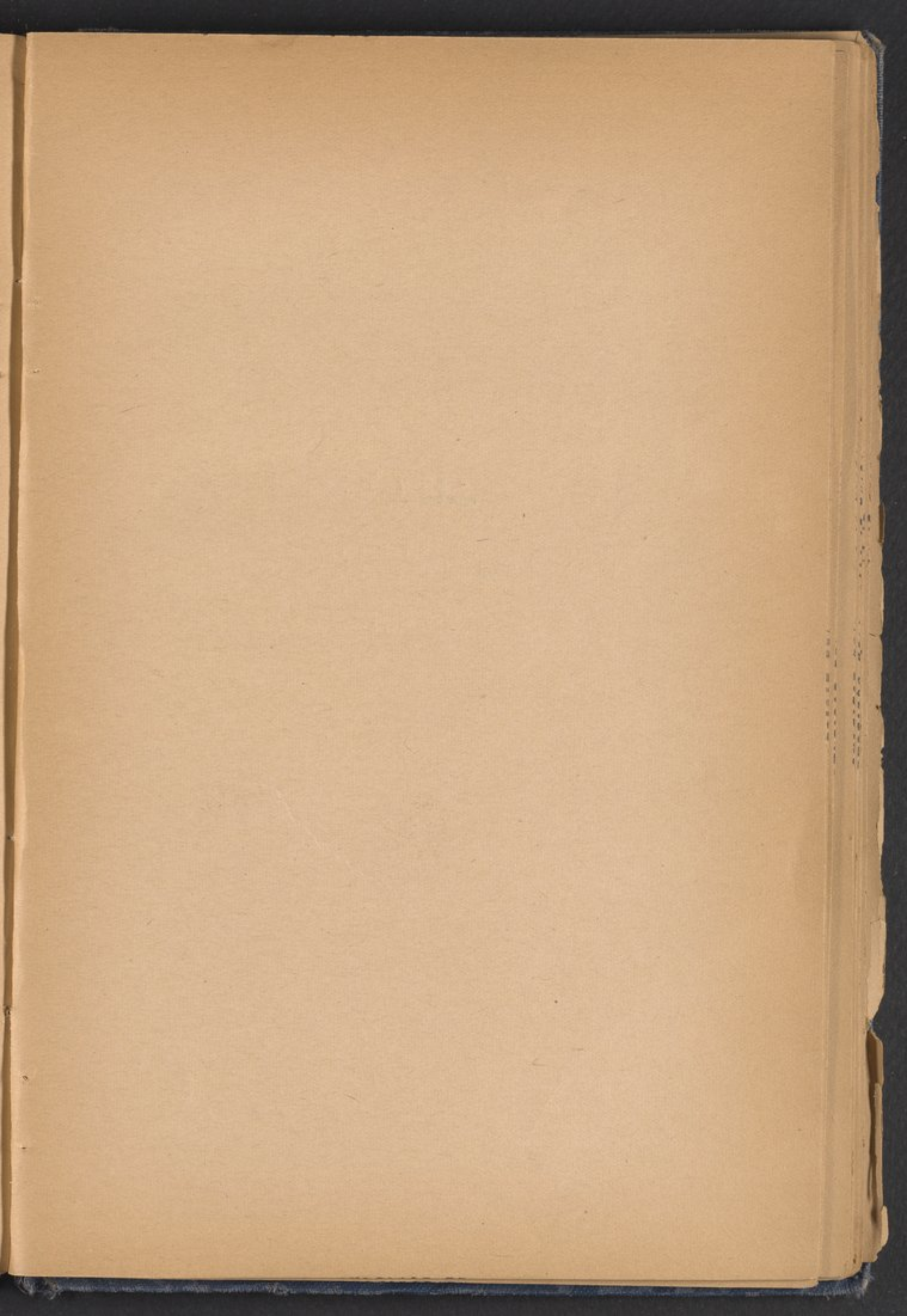
فى شهر يونيه من سنة ٣٢٣ ق . م ، حدث بالاسكندر حدث الموت بمدينة « بابل » . فحل بالقيصرية التى شيدها ، وبالأحرى بالعالم المتحضر كله ، فوضى غامرة . سنقص نصيب مصر منها ، فى رسالة تالية عن بطلميوس الأوّل .



تعليقات

على بعض مواد عرض ذكرها

فى الكتاب



(١) الدويلات الهِلِّينِيَّة : Hellenistic City States :

المقصود « بالدُّوَيْلات الهِلِّينِيَّة » المدن الإغريقيّة المستقلّة ، كأثينا وإسپرطه وغيرهما . وهى دويلات لا دول ؛ لأنها مدن لا ممالك بالمعنى المعروف اليوم . وقد كان لكلٍّ منها حكومة مستقلّة ، لها شرائعها ونظاماتها القضائية والإدارية ؛ بل كان لكلّ مدينة تقاليدها وآلهتها وهيا كلها وعقائدها وتاريخها وثقافتها . انظر أيضاً رقم (١٠) من هذه التعليقات .

***

(٢) غِرَنيقَس : Granicus :

موقعة غِرَنيقَس : Granicus : حدثت فى شهر مايو أو يونيه من سنة ٣٣٤ ق . م بين المقدونيين بقيادة الأسكندر المقدونى و بين الفرس ، فانتصر فيها المقدونيون انتصاراً كاملا ؛ وكان كل من الجيشين المتحار بين يحتلّ ضفة من نهر غِرَنيقَس فى أسيا الصغرى . فاقتحم المقدونيون النهر ، وهزموا الجيش الفارسى ، بعد أن قاومهم مقاومة عنيفة .

وكان جيش الاسكندر مؤلفاً من ٣٠٠٠٠ راجل و ٥٠٠٠ راكب ؛ والجيش الفارسى من ٢٠٠٠٠ فارسىّ ، و ٢٠٠٠٠ مرتزق إغريقى ، بقيادة « مِمْنُون : Memnon » وهو قائد يونانىّ ذو مَكانة وعلم بالفنون الحربية ، كان فى خدمة « دَارَا » ملك الفرس .

ويقول النقاد إن الجيش الفارسىّ لو اتّبع الخطة التى رسمها « مِمْنُون » لكان النصر فى جانبه ، ولكن قواد الفرس اختطوا خطة أخرى ، فانتفع الأسكندر من سوء تدبيرها .

ولا ننسى هنا أن ننبه على أن الأرقام التى يحدد بها مؤرخو القدماء عدد الجيوش المتحاربة فى المواقع التى يذكرونها ، مدخولة بالشك ، فلا يوثق بها .

***

(٣) مَوْقِعَة إسُّوس : Issus :

حدثت موقعة إسُّوس : Issus فى شهر اكتوبر من سنة ٣٣٣ ق . م بين الجيش المقدونى بقيادة الاسكندر ، والجيش الفارسىّ بقيادة الملك « دَارَا » . ويحسن بنا أن نذكر شيئاً عن ميدان هذه المعركة ، فقد حدثت فى سهل يبعد عن مدينة « مُرْيانْدُرُوس — Myriandrus » خمسة أميال شمالا بالقرب من الاسكندرونة ؛ ويحيط بهذا السهل جبال شامخة ، تسلم إليه بثلاثة مداخل . ففى الشمال الغربى الممرّ القِيلِيقِىُّ ، ويخترق جبال طُورُوس . وفى الشمال الشرقى الممرّ الأرمنى ، ويسلم إلى الفرات . وفى الجنوب الممر السورى ، ويسلم إلى سورية ؛ وتجاهه انتظر دَارَا بجيوشه ، وكذلك اتجه إليه الاسكندر بزحفه . ولهذا يقرّر النقاد أحد احتمالين : فإما أن الاسكندر لم يكن يعرف شيئاً عن الممرّ الأرمنى ، وهذا غير راجح ؛ وإما أنه لم يتوقّع أن « دارا » ومعظم جيشه من الفرسان ، سيترك السهول ويلوذ بالجبال ، وهذا راجح . ولكن مالم يتوقّعه الأسكندر أقدم عليه « دارا » ، فإنه رفض الإذعان لمشورة قوّاده ، وزحف نحو الممرّ الأرمنى بكامل جيشه ، فحوّط بهذه الحركة مؤخرةَ جيش الاسكندر .

ويجمع النقاد على أنّ هذه الخطّة إن كانت فاسدة من ناحية الفنّ

الحربى ، فإنها سديدة من ناحيـة الحركات الإلتفافية ، فإن الاسكندر اضطرّ أن يعدل عن خطّة الهجوم إلى خطّة الدفاع ، وأن يخوض موقعة لم تـكن فى حسبانه ، ليصون بذلك مواصلاته الحربية .

فلما علم الاسكندر بحركة « دارا » ، جمع قوّاده و بيّن لهم ما هم فيه من خطر ، وزحف مسرعا لملاقاة الجيش الفارسى ، و بحسن توزيع جنوده ، و إدارة حركاتها الحربية ، انتصر انتصاراً فاصلا .

***

(٤) دَارَا : Darius :

هو « دارا » الثالث واسمه قبل أن يعتلى العرش « قُودُومانُس Codomanus » ، ولـكنه انتحل اسم « دارا » . وفى سنى ملـكه أرسل الملك فيلبُّس المقدونى حملة حربية إلى آسيا الصغرى سنة ٣٣٦ ق . م .

وفى خريف سنة ٣٣٤ ق . م . بدأ زحف الاسكندر المقدونى على المملـكة الفارسية ، فهزم « دَارَا » فى موقعة « إسُّوس » سنة ٣٣٣ ق . م ثم فى موقعة « أَرْبيلا — Arbela » سنة ٣٣١ ق . م ، ففرّ إلى الشرق وقتله « بِسُّوس — Bessus » فى شهر يوليه من سنة ٣٣٠ ق . م . و بموته سقطت الدولة الفارسيّة ، وأصبحت فارس مستعمرة مقدونيّة .

***

(٥) قُورِينَة : Cyrene :

إحدى مدائن خمس ، شَيَّدها الإغريق فى ولاية برقه الافريقية ؛ و « برقه » هو الاسم الذى أطلقه العرب على ولاية رومانيّة فى شمال

إفريقية اسمها « قُورِينيقَة — Cyrenaica » نسـبة إلى « قورينة — Cyrene » وكان الجزء الشمالى منها يعرف عند العرب باسم « بِنْطابُلس » أو « إنْطابلس » ، (انظر معجم البلدان) Pentapolis أى المدن الخمس ، فإن اللفظة Penta اليونانيّة معناها « خمسة » و Polis معناها « مدينة » ، والصحيح بنطابلس كما ذكرنا ، وقد وهم صاحب معجم البلدان فى رسمها بالألف .

أما هذه المدن الخمس فهى :

(١) هِسْبِرِيس Hesperis (٢) بَرْقَه Barca

(٣) قُورِينَة Cyrene (٤) أُفُولونْيا Apollonia

(٥) طُوخِيرا أو أرْسِنْوى Teuchira (or) Arsinoe

وكانت « قُورينة » أقدمها وأكبرها وأزهاها وأعمرها ، وقد أنجبت كثيراً من الفلاسفة والشعراء والقواد العظام ، ولها تاريخ طويل ، أخصه علاقتها بمصر فى عصر البطالمة .

وكانت المدينة مشيدة على جبل يشرف على بحر الروم ، اسمه الجبل الأخضر ؛ ولا تزال آثارها باقية إلى اليوم .

***

(٦) اليونان والإغريق : Ionians and Greeks :

اليونان فى الإغريقية القديمة Ioanes ، وفى الفارسية Yavana ، وفى العبرية Yavan ؛ وقد جرى الكتّاب على أن يعرّبوا كلمة Greeks باليونان ، كلما وردت هذه الكلمة فى سياق بحث علمى أو أدبى ، فى حين أن اليونان هم الذين يطلق عليهم اسم Ionians ، والإغريق هم الذين يطلق

عليهم اسم Greeks ، وهما شعبان مختلفان و إن كان أصلهما واحد[1] ؛ ولا شك فى أن هـذا ما عناه مترجمو العرب ، فقالوا اليونان حيناً ، والإغريق حيناً آخر ؛ ولم يقصدوا بذلك غير ما ذكرت هنا .

وأرى أن هذا أقوم تعليل لاستعمال الاسمين فى مواضع مختلفة من كتبهم ، غير أنى أنبّه هنا على أن استعمال لفظ « اليونان » للدلالة على الإغريق Greeks لا غبار عليه من الناحية التاريخية .

***

(٧) هِيْرُودُوتَس : Herodotus :

مؤرخ يونانى قديم يعرف « بأبى التاريخ » ولد فى « ألِكارْناسُوس » بآسيا الصغرى سنة ٤٨٤ ق . م . وتوفى فى سـنة ٤٢٥ ق . م . وهو أشهر من أن يعرف .

***

(٨) نِقْطَانِيبُو : Nectanibo :

آخر ملوك مصر الوطنيين من الفراعنة ، وقد طرده الفرس من البلاد ، فلجأ إلى « إثْيُوپْيا » سـنة ٣٤١ ق . م . وفى دائرة المعارف البريطانية (ص ٧٦ — ٨ الطبعة ١٤) وفى (ص ٧٠٩ — ١٧ الطبعة ١٤) أنّ نِقْطانِيبِس الأول كان اسمه « نخت — نبف » ، ونِقْطانِيِس الثانى

---

(١) فى قاموس سميث Dr. Smith للأعلام القديمة ما يلى :

« Ionia : A district on the west coast of Asia Minor, so called from the Ionian Greeks who colonised it at a time earlier than any distinct historical records »

p. 221- Smaller Edit. 1867.

كان اسمه « نِخْتَارْحِبْ » ، ولـكنهما يعرفان فى أكثر المؤلفات التاريخية باسم « نِقْطانيبُو » .

* * *

(٩) الهِـكْسُوس : Hyksos : أو ملوك الرعاة :

اسم أطلق على ملوك حكموا مصر ، وكانوا من أصل أجنبى ، وكان مُلْكُهُم حوالى سنة ٢٠٠٠ ق . م . وسقط ملـكهم فى خلال حكم الأسرة الثامنة عشرة ؛ وقد حكموا مصر حوالى ٥٠٠ سنة على ما يقول « مانِيثُو Manetho » ، واسم الهِـكْسوس من اللفظة المصرية « هِـكْ — شَاسُو hik-shasu » أى رؤوس البدو أو الرُّعاة .

ويقول سير « فلندز پترى » إن أعظم ملوك الهـكسوس الذين حكموا مصر ، تربعوا على عرشها ٢٦٠ أو ٢٨٤ سـنة ، أى من سنة ٢٥٤٠ إلى ٢٢٥٦ ق . م . وكانوا ستة ملوك ؛ و بعد ذلك العهد حدث اختلاط بين المصريين والسّاميين ؛ وأن عصر الاختلاط ظل من سنة ٢٢٥٦ إلى سنة ١٧٣٨ ق . م .

See « Egypt and Israel » p. 14. By W. M. Flinders Petrie.

* * *

(١٠) الهِلِّينِيَّة — الثّقافَة الهِلِّينِيّة — الحضارة الهِلِّينِيَّة :

Hellenism; Hellenistic Culture (or) Civilisation

يذكر شارح هذا الاصطلاح فى دائرة المعارف البريطانية (٤٠٢ — ١١ الطبعة ١٤) أن اصطلاح — Hellenism — غامض الأصل . ويقال إنه مشتق من أصـل يونانى معناه « تقليد الأغارقة » ، وأطلقه المؤلف

الألمانى « درويصن J. G. Droysen » على مظاهر الثقافة الإغريقية ، منذ عهد الاسكندر المقدونى ، حتى نهاية عصر الدول القديمة ؛ وتشمل دلالته كل الشعوب التى تأثرت بتلك الثقافة .

وذكر فى المعجم الأنسيكلو بيدى (ص ١٦١ — ٤) أن الاصطلاح نسبة إلى « هلّين Hellen » جد الأغارقة الأول .

وننقل هنا عن قاموس (Century) ص ٢٧٧٩ ج ٣ العبارات الآتية :

"Hellen — A Thessalian Tribe of which Hellen was the reputed cheif; later (earliest record 586 B.C.) a general name for all the Greeks."

"An ancient Greek; Properly, a Greek of pure race; traditionally said to be so called from Hellen son of Deucalion and Pyrrha, the ledgendery ancestor of the true Greeks, consisting of Dorians, Æolians & Acheans."

هـذا فيما يتعلق باشتقاق ذلك الإصطلاح . أما الحضارة أو الثقافة الهلّينية فيقصد بها ما يلى :

منذ القرن الخامس قبل الميلاد ، أخذت المدن الإغريقية تَتَنَاثَر على شاطئ البحر المتوسط من حدود اسپانيا إلى مصر و بلاد القَفْقَاس ، وأخذت الثقافة الإغريقية تنتشر بين شعوب غير إغريقية الأصل . ومن قبل ذلك التاريخ ، أى منذ بداءة القرن السابع قبل الميلاد ، عند ما كانت الثقافة الهلّينية ما تزال فى غرارتها و بدء تكونها ، خدم مرتزقون من الأغارقة جيوش الشرق الأدنى . فلما استقوت الثقافة الهلّينية وأينعت ثمارها ، بدأت آثارها الفنية والعقلية تظهر فى جوّ الحضارات القديمة . ولاشكّ فى أنّ حضارة قديمة ، كحضارة مصر ، أو حضارة ما بين النهرين ،

كانتا لا تكترثان بالحضارة الناشئة أول الأمر . ولكن غيرهما من الحضارات الأخرى ، وبخاصة القبائل الهَمَجِيَّة ، وقعت تحت سلطانها وشيكا . وكثيراً ما امتزجت قبائل هَمَجِيَّة بشعوب هِلِّينية ، وانتحلت كلّ مزايا الثقافة الهلِّينية .

ولقد بلغت الثقافة الهلِّينِية أعظم مبالغها بعد غزوات الاسكندر المقدونى ، فانها ذاعت فى مصر وما بين النهرين وفارس والهند ، وتركت فى هذه البلاد جميعاً آثاراً ثابتة من مظاهر الفكر اليونانىّ وحقائقه . أمّا المدن الإغريقية التى أشرنا إليها فى أول هذه التعليقات (راجع رقم ١) فكانت دويلات مستقلة ، لكل منها كيان سياسى خاصّ .

***

(١١) فِلُوسْيُوم : Pelsium :

مدينة قديمة وميناء مصرية ، هى الآن خرائب تكوّن تبّتين عظيمتين تقعان بمقربة من الشاطئ وحافة الصحراء ، على عشرين ميلا شرقى بور سعيد ، وكان يحيط بها فى الأزمان القديمة ضَحْضَاحٌ من الماء ، كالمستنقعات ، تتخلّف عن المياه التى يحملها إليها فرع من النيل كان يصبّ فى البحر المتوسّط هنالك . وكان يسمى الفرع « الفِلُوسِىّ Pelusiac » نسبة إليها ، وقد ردم منذ أزمان بعيدة ؛ وكانت هذه المدينة فى تلك الأزمان مركز الاتصال بين مصر وسورية ، وبها قلعة حصينة ، كان لها شأن عظيم منذ الفتح الفارسىّ ، فى كل الحروب التى اشتبكت فيها مصر ، مع دول الشرق .

***

(١٢) هِلِيُوبُولِس «مدينة الشمس» : Heliopolis :

مدينة مصرية قديمة ذكرت فى كتب العهد القديم Old Testament باسم «أون : On» على خمسة أميال شرق النيل ، بالقرب من رأس الدلتا ، وكانت المقرّ الرئيسى لعبادة الشمس ، حتى لقد ظلت أهميتها الأولى من حيث المنزلة الأدبية ، راجعة إلى أنها مركز دينى عظيم ، ولكن «هِيرُودُتَس» يذكر أن كهنة «عين الشمس» كانوا واقفين على كثير من حقائق التاريخ . وكان بها مدارس تلقن الفلسفة والفَلَك ، ويروى أن «أفْلاطُون» وغيره من فلاسفة الإغريق ، هبطوا هذه المدينة وتلقوا عن أساتذتها هـذه العلوم ، ولـكن المدينة فى عصر «إسْتَرابُون Strabo» المؤرخ الرومانى ، كانت قد خربت وهجرت مدارسها ، ولم يبق بها إلاَّ بعض الـكهنة ، والظاهر أن البطالمة ، لم يعنوا بالمدينة وآلهها «رَعْ» ، بل أحيوا فى الاسكندرية عبادة «سَرَافيس : Sarapis» ، كما أن مدارس الاسكندرية العظيمة أنست أهل العلم تقاليد مدارس «عين الشمس» ، والسبب فى ذلك ظاهر ؛ فإن الاسكندرية علمت على النمط الإغريقى ، ومدرسة «عين الشمس» كانت تعلّم على التقاليد المصرية .

ولما أسست الفسطاط وتبعها تأسيس القاهرة ، زالت معالم «عين الشمس» زوالاً تاما ، إذ نقلت مواد المدينة القديمة ليشاد بها المدينتان الجديدتان . والمحل الذى كانت تشغله مدينة الشمس ، أصبح الآن مزارع . وليس هناك من أثر يدل عليها إلاّ مسلة تقوم مكان المعبد الـكبير ، وقليلا من الحجارة الجرانيتية الضخمة ، عليها اسم رمسيس الثانى .

***

(١٣) مِمفِيس : Memphis :

عاصمة مصر فى الجغرافية القديمة ، وكانت تقع على شاطئ النيل الغربى إلى الجنوب من القاهرة ، ويقال إن الملك « مِنيس » هو الذى شيدها ، ثم أصبحت عاصمة القطر المصرى فى خلال حكم الأسرة الرابعة عشرة ، وقد خرب الهكْسُوس بعضها ، ولكنها أصبحت فى حكم الامبراطورية الجديدة عاصمة مصر الثانية بعد « طِيبة » ، وسقطت فى يد الأشوريين ، ثم خربها « قَمْبيز » . وكانت ما تزال عامرة فى العصر الرومانى ، وتم تخريبها تدريجاً فى خلال العصر الإسلامى ، وعلى مقربة منها خرائب سَقَّارَة .

***

(١٤) كِيرْتِيُوس : Curtius, Rufus Quintus :

أحد الذين ترجموا عن حياة الاسكندر الأكبر . ويقول ثقات النقاد المحدثين أنه من رجال البلاغة الذين عاشوا فى حكم « أَقْلاَذْيُوسْ Cladius » ٤١ — ٥٤ بعد الميلاد ؛ واسم كتابه فى اللاتينية De rebus gestis Alexandri magni

ويقع فى عشرة أجزاء فقد منها اثنان ، والثمانية الأخر ناقصة ؛ وقد أظهر فى تاريخه هذا كثيراً من الجهل بحقائق الجغرافية ، وتاريخ الوقائع ، والفن الحربى .

***

(١٥) فِتَاح : Ptah :

فى الميثولوجيا المصرية : ربّ من الأرباب العظام ، ولو أنه لم يكن

من أقدمهم ؛ وكان المعتقد أنه « القوّة الخالقـة » و « البنّاء الآلهى » و « القوة العقلية المحيية » ، وأكثر ما كان تقديسه فى مدينة مِمفِيس ؛ وكان يمثّل فى صورة بشر ، وأحياناً فى صورة قَزْم أو جَنين .

***

(١٦) مَهَفِى Sir John Pentland Mahaffy : ١٨٣٩ — ١٩١٩ : 1839 — 1919 :

أحد الثقات فى التاريخ والآداب القديمة . ولد فى « سويسرا » فى ٢٦ من فبراير سنة ١٨٣٩ ، وتلقى العلم خارج انجلترا أولا ، ثم فى كلية التثليث بدَبْلِن ، حيث عيّن أستاذاً للتاريخ القديم بها ؛ وفى سنة ١٩١٣ أصبح وكيلا لعميد الكلية ، ثم عميداً لها فى سنة ١٩١٤ .

ولما قامت الثورة الإرلندية ليلة عيد الفصح من سنة ١٩١٦ ، تولى قيادة الدفاع عن الكلية ضد الثوّار ، فمنح لقب جنرال فخرى ، جزاء بسالته ، وتلقاء الخدمات التى قامت بها الكلية فى أثناء الحرب العظمى .

وظل رئيساً للأكاديمى الإرلندية الملكية من سـنة ١٩١١ إلى سنة ١٩١٦ ، وتوفى فى ٣٠ من أبريل سنة ١٩١٩ ؛ وله مؤلفات يعـدّ بعضها من المظانّ الوثيقة ذات الأثر الباقى ؛ ومن أعظم مؤلفاته :

1 — Commentary on Kant (1866) Transl. of Fischer's known book.
2 — Edited : The Petrie Papayri (3 vols : 1891 — 1905.)
3 — History of Classical Greek Literature (4 th. edit. 1903.)
4 — Social Life in Greece from Homer to Menander. 1903. 4 th. edit.
5 — The Silvsr Age of the Greek World (1906.)
6 — The Empire of the Ptolemies (1896.)

7 — Greek Life and Thought from Alexander to the Roman Conquest (2 nd. ed. 1896.)
8 — The Greek World under Roman Sway: from Polybius to Plutarch. (1890.)
9 — An Epoch in Irish History 1501 — 1660 — (1904.)

***

(١٧) فِيلُبُّس المَقْدُونى : Philip II - King Philip of Macedon :

فيلبس الثانى (٣٥٩ — ٣٣٦ ق . م) ملك مقدونيا والد الأسكندر المقدونى ، أبوه «أمُنْتاس الثانى Amyntas II» ، وأمه «أُورِيدِيقَه Eurydice» ، وكانت مقدونيا عند مولده مضطربة الأحوال ، مفككة الأوصال . فلما مات أبوه تولى الملك عمُّه الاسكندر الثانى ، ولكن ملكه لم يدم غير فترة قصيرة ، إذ قتل فى سنة ٣٦٨ ق . م . ولم يعتل فيلبس عرش أبيه إلا فى سنة ٣٥٩ ق . م . بعد حوادث لا ضرورة للاستطراد فيها .

وقتل فيلبس فى أثناء حفلة أقامها لزواج ابنته بمدينة «إيجه Aegae» عاصمة مقدونيا القديمة ، بعد أن نظم مقدونيا ، وترك فيها جيشاً كامل العدة والنظام ، مكّن ابنه الاسكندر من أن يغيّر خريطة الدنيا فى عشر سنين .

***

(١٨) تتويج الأسكندر بمصر :

للوقوف على المراد يراجع ما علّقنا به على «اسطورة الأسكندر» بعد ، وهذه القصة تعرف فى الأدب الأوربى الحديث باسم «أقصوصة الأسكندر» The Romance of Alexander

***

(١٩) أَپِيس : Apis :

أَپيس أو حابِي إله الهيكل المصرى القديم ، وكانت مِمْفِيس المقرّ الرئيس لعبادته ؛ وكان المصريون يعتقدون أنه صورة من روح أُوزِيرِيس ، و يمثّل فى العادة بجسم بشرى يحمل رأس ثور ؛ وقد يعتبر بعض الأحيان « فِتاَح المتجسد » أو « ابن فِتاَح » . أما الأغارقة فقد نحتوا من الاسم « أُوزِيرِيس — أَپِيس Osiris - Apis » الاسم « سَرَافيس Sarapis » وهو إله بدأت عبادته فى مصر فى أول عهد البطالمة أو قبيل ذلك . وسننشر فى هذا الأمر بحثاً كاملا فى حلقة من حلقات هذه الرسائل نخص بها « بطلميوس الأول » وزمان حكمه فى مصر .

***

(٢٠) هُومِيرُوس : Homer :

فى اللاتينية Homerus ، وفى اليونانية Oumros ، ومعناه المنظّم والمنسّق .

وهو شاعر الإلياذة والأوذيسية المشهور ، وله فوق ذلك أدعية تسمى الأدعية الأوميرية ، لها قيمة كبيرة فى الآداب القديمة ، وقد اخْتُلِفَ فى العصر الذى عاش فيه ، فيقول هِيرُودُوتَس إنه عاش حوالى سنة ٨٥٠ ق . م . ولكن غيره يزعمون غير ذلك ؛ و يغالى بعضهم فيقول إنه عاش حوالى سنة ١٢٠٠ ق . م . وهو أشهر من أن يعرّف .

(٢١) نُقرَاطِيس : Naucratis (or) Naukratis :

مستعمرة إغريقية قديمة كانت فى مصر ، كشف آثارها سير « فِلِنْدَرْز پِتْرِى » سنة ١٨٨٤ على الضفة اليمنى من قناة قديمة على عشرة أميال غربى فرع رشيد النيلى ، وكان الطريق الموصل إليها فى الأزمان القديمة ، فرع « كَنُوبس » النيلى ، وكان إذ ذاك أكثر إمعاناً نحو الغرب .

ولقد حقق سير « فِلِنْدَرْز پِتْرِى » مكان المدينة تحقيقا لا يترك مجالاً للريب ، إذ كشف عن بعض نقوش فيها اسم المدينة مع كميات كبيرة من الخزف الإغريقى القديم ، وكان لهذه المدينة منزلة كبيرة ، تجاريا وفكريا ، فى تاريخ مصر القديمة ، من حيث علاقتها بالحضارة الهلّينية .

وبالرغم من هذه المنزلة التى كانت لتلك المدينة ، باعتبار أنها المستعمرة الوحيدة التى كانت لليونان فى مصر القديمة ، فإن البحث الحفرى فى أنقاضها قد دل على أن بعض القطع الخزفية عليها كتابات تبين عن كثير مما غمض من حقائق التاريخ ، وفيها آثار تدل على أن هذه البقعة قد استعمرت منذ القرن السابع قبل الميلاد ، كما عثر فيها على قطع ثمينة من الخزف الإغريقى مطمورة فى خرائب معمل لصناعة الجُعْلان . ويرجح بعض النقاد أنها من عمل الأغارقة الذين هبطوا هذه البقعة من مِليسُوس (الإغريقية) ، واستقروا بها فى زمن الملك « إبْزَامَاتِيك » الأول ، أحد ملوك مصر الأقدمين .

***

(٢٢) صُور : Tyre :

ميناء فِينِيقية قديمة ذات شهرة واسعة ؛ وهى تابعة الآن للبنان الكبير

تحت الانتداب الفرنسى ، وتعدادها الآن لا يزيد عن ٥٧٠٠ نسمة ،
وكانت هذه الميناء مشيدة على شبه جزيرة غير منفصلة عن الشاطئ ،
ولا تزال المدينة حتى الآن ضيقة الشوارع والممرات ، وعلى أبنيتها
مسحة القدم .

وورد ذكر هذه المدينة فى رسائل « تل العمارنة » : (القرن
الرابع عشر ق . م) باسم « أُوسُو Usu » أو « أُوشُو Ushu » . وفى
أوراق أنِسْطاس البردية (القرن الثالث عشر ق . م) ؛ غير أنها لم
تذكر بين المدن السورية التابعة لامبراطورية « تحوتمس الثالث »
(القرن الخامس عشر ق . م) . ولهذا يرجح النقاد أنها لم تُشَيد وتعمر ،
إلا قبيل بداءة القرن الرابع عشر ، ولم يكن لها من أثر قبل القرن
الخامس عشر .

ولقد خربها الأسكندر المقدونى ، بعد أن قاومت جيوشه الزاحفة إلى
مصر مقاومة ، جد عنيفة .

***

(٢٣) صُور المَقْدُونِيَّة : The Macedonian Tyre :

ليس هذا باسم مدينة ، وإنما عنينا به مدينة الأسكندرية التى
شيّدها الأسكندر بمصر ؛ ويقول بعض الكتّاب إنه أراد بتشييدها أن
تحل محل « صُور » الفِينِيقِيَّة ، كما حدث بعد ذلك بين رُومْيَة وقَرْطاجِنَّة .

فإن بعض المؤرخين يعتقد أن الأسكندر لم يهدم « صُور » ويخربها ،
إلا ليفسح الطريق لثغر مقدونى جديد ، يقيمه على بقعة من الشاطئ المصرى
على البحر المتوسط . وهنالك حقيقتان يجب مراعاتهما :

الأولى : أن « صور » قاومت جيوشه مدة طويلة ، فعطّلت زحفه إلى مصر (انظر جروت فى كتاب تاريخ الإغريق ص ٨ ج ١٢ طبعة إفريمان) .

الثانية : أن صور فينيقية مثل قرطاجنة ، فأراد الأسكندر أن يقضى على النفوذ الفينيقى التجارى فى شرقى البحر المتوسط ، ليحلّ محله النفوذ الإغريقى .

وإنما نقول إن تأسيس مدينة الأسكندرية ، جاء تبعاً للحقيقة الثانية ، ولم يكن تخريب « صُور » ، راجعاً إلى تصميم سابق على بناء الأسكندرية فى مصر .

***

(٢٤) فرع كَنُوبَسْ النيلى : Canopic Branch of the Nile :

مدينة كَنُوبَس : Canopus or Canobus ، ومصب كَنُوبَس النيلى .

كانت كنوبس مدينة مصرية تقع على شاطئ بحر الروم ، وعلى ١٥ ميلا شرقى الأسكندرية ، وهى من الموانى الرئيسة فى العصر القديم ، من حيث علاقتها بالمتاجر الإغريقية ، قبل تشييد الأسكندرية .

أما فرع كنوبس النيلى (وكان أكثر فروع النيل إمعانا نحو الغرب) ، والذى كان يصب فى البحر المتوسط عند الطرف الغربى من خليج « أبى قير » فقد ردم الآن ، ولكن يرى على ميلين من أبى قير ، رقعة واقعة من الأرض بها آثار المدينة القديمة ومرافئها البحرية .

وفى السنة التاسعة من حكم بطلميوس أُرْغيطِس Ptolemy Eurgetes

(٢٣٩ ق . م) اجتمع فى كنوبس عدد عظيم من الـكهنة ، وأضفوا على الملك لقب « ولى النعم » أو « المحسن » . وعثر الباحثون على صورتين من هذا القرار ، أثبت فى كل منهما النص باللغات الهيروغليفية والديموطيقية والإغريقية ؛ وكان من أثر ذلك أن شـيَّد الملك هيكلا عظيما بالمدينة « لأوزِيرِيس » وآخر « لِهِرَقْلِيس » . وذكر « هِيرُودُوتَس » أن الهيكل الأخير اتخذ ملجأ يحتمى به العبيد الفارّون من أسيادهم ؛ وفى قرار الـكهنة ما يدل على أن « هِرَقْلِيس » إنما يقصـد به « أَمُّون » . أما عبادة « أُوزِيرِيس » فقد اتخذت طابعاً خاصًّا ، فكان يمثّل له بآنية لها رأس بشرى . وفى ذلك إشارة إلى أن « كنوبس » ملاّح « منيلاوس Minelaus » الذى يزعم أنه دفن فى المكان الذى شيدت من فوقه المدينة بعد موته .

* * *

(٢٥) مصبّ النيل الفِيْلُوسِى : Pelusiac Mouth of the Nile :

راجع التعليق رقم (١١) ، وفيه كفاء عن إعادة التعريف بهذا المصب .

* * *

(٢٦) إسْترابُون : Strabo (or) Strabon :

جغرافى إغريقى ولد فى سـنة ٦٣ ق . م فى مدينة « أماسِيه » ، ولـكنه قرن علم الجغرافية بعلمى الأجرومية والفلسفة ، ولقد وصف كثيراً من البلدان فى الممالك القديمة ، وبالرغم من أنه لم ير كثيراً من البلدان التى وصفها رأى العين ؛ فإنه ساح كثيراً ، فبلغ فى سياحاته نحو الغرب

بلاد « إتْرُوريا » حـذاء جزيرة « سَرْدِينيه » ، وجنوباً إلى حدود « إثيُوبِيا » .

ولقد اعتمد فى كتابة جغرافيته على المؤلفين الإغريق مثل « فُولُوبيُوس Polybius » و « فُوسِيدونيُوس Poseidonius » و « ثيُوفانِس المُتيلى Theophanes of Mytile » ، ولم يعتمد على مؤلفى الرومانى إلا قليلاً .

والظاهر — على ما يروى الذى ترجم عنه فى دائرة المعارف البريطانية — أنه جمع أكثر مذكراته من مكتبة الأسكندرية ، فكان من الطبيعى ، أن تكون عمدته الأولى كتب الأغارقة . ثم هبط رُومْية من بعد ذلك .

* * *

(٢٧) إلْيُوذُورس : Heliodorus :

معنى اسمه Heliodorus « هبة الشمس » ، ولد بمدينـة « إيمِسَا Emesa » ، وعاش فى أواخر القرن الرابع الميلادى ؛ وهو كاتب إغريقى من أشهر كتاب القصص الخيالى ، وأسقف نصرانى فى مدينة « تِرِكَّا Tricca » « بِتَسَاليا Thessaly » . والإشارة فى المتن إلى قصته المسماة « إثيُوبِيكا Æthiopica » ، وهى أقدم قصة خيالية Romance وصلت إلينا من الأغارقة .

* * *

(٢٨) فَارُوس : Pharos :

جزيرة كانت تجاه المنزل الذى شيدت عليـه الاسكندرية . وقد

أقام عليها بَطْلَمْيُوس الأول « سُوطر Soter » ، و بطلميوس الثانى « فيلادِلْفُوس Ptolemy Philadelphus » المنارة البحرية المعروفة بمنارة « فارُوس » ، وكانت فى العالم القديم إحدى عجائب الدنيا السبع ، وفى دائرة معارف « سِنْشُورى » أن الاسكندرية شيدت على هذه الجزيرة ، ومعها البرزخ الذى كان يصل الجزيرة بالأرض القارّة .

***

(٢٩) رمسيس الثانى : Ramses II :

وقد يسمى « رمسيس ميامون الأول R. Miamun I » ملك من أشهر ملوك مصر القديمة ، وهو ثالث ملوك الأسرة التاسعة عشرة ، وابن سيْتِى الأول ، وكان أعظم مَنْ شيد فى مصر آثاراً ، وعمر هياكلا ؛ كما كان محاربا من أكبر محاربيها ، وأشهر غزواته غزوة « الحثيين Hittites » ، وأكبر وقعاته وقعة « قادِش Kadesh » التى كاد يلقى فيها حتفه ، لولا بطولته وفروسته ، وقد خلد ذكر هـذه الواقعة شاعر مصر القديمة « بِنْطَاؤُور Pentaur » بملحمة عامرة من الشـعر القصصى ؛ ويقال إن هـذه الملحمة هى التى أوحت إلى « هوميروس » نظم الياذته المعروفة ، وقد عثر على موميائه فى الدير البحرى سنة ١٨٨١ .

وله أسماء عديدة منها : « سيس Ses » و « سِسْتِيسو Sestesu » و « سِيتيسُو Setesu » و « سِيثُورِيس Sethoris » ويسميه الأغارقة « سِيزُوسْتِرِيس Sesostris » .

***

(٣٠) دولة إقْرِيطِش البَحْرِية : The Cretan Sea Power :

كان أول من عُنى ببحث الآثار القديمة فى جزيرة « إقْرِيطِش » (كريت) الأستاذ « أرْثَر إيڤَانْس A. Evans » من أساتذة جامعة أكسفورد سنة ١٨٩٤ ، وكان من عنايته أن اشترى البقعة التى شيد عليها قصر « إكْنوزُس Knossos » القديم وكشف عنه ، واستخلاص الآثار الباقية منه .

ولقد أعانت الأموال الأمريكية على الكشف عن آثار إقريطش ، حتى لقد استطاع المنقّبون والمؤرخون والنقاد ، أن يعيّنوا عصور الحضارة الإقريطية ، وقرنوها بالحضارة المصرية على النمط الآتى :

العصر المينووى الأول	Minoan(1)	الأسر المصرية	التاريخ قبل الميلاد
١ — الدور الأول	E. M. I	١ — ٣	٣٤٠٠ — ٢٨٠٠
٢ — الدور الثانى	E. M. II	٤ — ٦	٢٨٠٠ — ٢٤٠٠
٣ — الدور الثالث	E. M. III	٨ — ١١	٢٤٠٠ — ٢١٠٠
العصر المينووى الاوسط			
١ — الدور الأول	M.M. I (2)	١١ — ١٢	٢١٠٠ — ١٩٠٠
٢ — الدور الثانى	M. M. II	١٢ — ١٣	١٩٠٠ — ١٧٠٠
٣ — الدور الثالث	M. M. III	١٤ — ١٧	١٧٠٠ — ١٥٨٠
العصر المينووى الأخير			
١ — الدور الأول	L. M. I (3)	١٨ — تحوتمس الثالث	١٥٨٠ — ١٤٥٠

(1) E. M. — Early Minoan Period.
(2) M. M. — Middle Minoan period.
(3) L. M. — Later Minoan period.

العصر المينووى الأخير	Minoan	الأسر المصرية	التاريخ قبل الميلاد
٢ — الدور الثانى	L. M. II	١٨ — امنحوتب الثالث	١٤٥٠ — ١٣٧٥
٣ — الدور الثالث	L. M. III	١٨ — ٢٠	١٣٧٥ — ١١٠٠

فكان من رأى المسيو « ريمون ويل » (راجع المتن) أن بقايا الميناء المغمور الآن تجاه الاسكندرية الحديثة ، آثار خلفتها دولة إقريطش فى عهد الأسرتين المصريتين الحادية عشرة والثانية عشرة ، أو فى عهد الأسرة الثالثة عشرة ، عند ما كانت تملك دولة إقريطش البحرية ، البقعة التى شِيْدَت عليها من الشاطئ المصرى .

***

(٣١) عن الميناء المغمور : The Submerged Port :

كتب سير « فِلِنْدَرْز بِتْرِى » — « ربما كان الميناء المغمور من أثر البطالمة ، فقد حدث انخفاض كبير فى مستوى الأرض بلغ أكثر من تسعة أقدام تحت الماء ، وأنّ الميناء المغمور كان يعلو سطح البحر ، عند ما شيد ، خمسة عشر قدما على الأقل اتقاء لرطوبة البحر ؛ ولا يبعد أن يكون الشاطئ قد انخفض ٢٠ قدما أول الأمر ، ثم ارتفع مرة أخرى إلى مستواه الحاضر » .

***

(٣٢) هِفُّوذامُس المِلِيْطِى : Hippodamus of Miletus :

سفسطائى أغريقى ومهندس معمارى وعالم بأصول الهندسة النظرية ، أسس مدينة « فِيْرَاوُس Piraeus » (بيرية الآن) ، ثم مدينتى « ثوريون

Thorion » و « رودس Rhodes » ؛ وقد ابتكر قواعد جديدة فى تخطيط المدن أبدى فيها كثيراً من العناية والمهارة وحسن التنسيق ، فاتخذت فى زمانه ، ومن بعد موته ، نموذجاً لتخطيط المدن الأغريقية ، واتبعت فى تخطيط مدينة الأسكندرية ؛ ولم أقف تحقيقاً على تاريخ مولده وموته ، ولكن لا يبعد أن يكون قد عاش فى أواخر القرن الخامس وأوائل القرن الرابع قبل الميلاد .

***

(٣٣) ذِينُوقْرَاطِس : Dinocrates :

أعظم المهندسين الذين استخدمهم الأسكندر الأكبر فى أعماله الحربية والمدنية ؛ وهو الذى خطط مدينة الأسكندرية ووضع أسسها ، وأعاد بناء « الأرتميسيوم Artimisium » فى مدينة إفسوس بعد أن خربته النيران ، وقد أطلقت على هذا المهندس ثمانية أسماء مختلفة ذكرها « برون Brunn » .

***

(٣٤) مَرْيُوطِس — مَرْيُوط : Maryotis :

اسم أقليم وبحيرة يقعان غربى المكان الذى شيدت فيه الأسكندرية ، وكانا معروفين لكثير من المؤرخين الذين هبطوا مصر قبل الأسكندر .

***

(٣٥) شهر طوبى : Tybi :

شهر من أشهر التقويم القبطى القديم ، وهو المعروف باسم « طوبه »

الآن ، والسبب فى لفظه « طوبه » ، أنّ مترجمى العرب نقلوا عن السريان ، وهؤلاء أبدلوا الحرف « Y واوا » باطراد فقالوا لوبيا فى Lybia ، وبوزنطية فى Byzantium وهكذا .

***

(٣٦) أسطورتان عن تخطيط الأسكندرية :

الأسطورة الأولى : عن أريان وإسترابون ، أنّ المهندسين أرادوا أن يخططوا المدينة على الخط العادى ، بأن يعيّنوا معالمها بتراب كلسىّ أبيض ؛ ولكنهم لم يجدوا ما يكفيهم منه ، فأخذوا دقيقاً من مخصصات الجند . والمعجزة فى أنّ المهندسين حوّلوا عن غرضهم الأول عن غير قصد منهم ، فاستعملوا الدقيق بدل الكلس ، وفيه تفاؤل بالعيش والعمارية .

الأسطورة الثانية : عن كيرتيوس وورومانس ، أنّ المهندسين سبقوا منذ البداءة إلى استعمال الدقيق ؛ وأنّ تخطيط المدن بالدقيق عند انشائها عادة مقدونيّة (كيرتيوس) ، وهو زعم يناقض ما ورد فى الرواية الأولى ، والمعجزة فى أنّ الطيور حلّقت فوق المكان الذى خططت عليه المدينة وأكلوا من الدقيق . ولا ذكر للطيور فى الرواية الأولى

***

(٣٧) يُوسِيفُوس : Josephus Flavius :

يوسيفوس فلاويوس (٣٧ إلى ٩٥ بعد الميلاد) مؤرّخ وقائد يهودى ولد فى السنة الأولى من حكم « كاليغولا » القيصر الرومانى ، درس القانون والشريعة ، وله فيهما تعليقات وبحوث مبتكرة ، واتّصل بالعالم

الرومانى اتصالا وثيقاً ، وأقام فتنة اليهود سنة ٦٦ للميلاد ، وجهز جيشاً عظيما لملاقاة الرومان ؛ ولكن جيشه هرب من الميدان قبل أن يلتقى الجيش الرومانى بقيادة « وسپاسيانوس Vespasian » ، و « طيطوس Titus » ، فطلب مدداً من أورشليم ، ولكن لم يفزع معه أحد ، غير أنه قاوم والذين ناصروه ، وثبتوا أمام الجيوش الرومانية ثباتاً مثيراً للاعجاب ؛ ولما غلبوا على أمرهم اختبأوا فى مكان ، واقترح « يوسيفوس » أن لا يسلّموا إلى الرومان ، بل يقتل كل منهما أخاه ، فيبدأ واحد بقتل زميل ، ثم يقتل القاتلَ زميلٌ آخر ، فنفّذوا الفكرة و بقى يوسيفوس مع زميل يستحق أن يقتله يوسيفوس ، ولكنهما آثرا أن لا يموتا وسلّما لوسپاسيانوس ، ولما التقيا ، تنبأ يوسيفوس للقائد الرومانى بأنه سيصير قيصراً ؛ فلما اعتلى وسپاسيانوس عرش القياصرة أطلق سراحه وكرّمه ، فانتحل يوسيفوس اسم « فلاويوس » وهو اسم أسرة الامبراطور ، ثم رافقه إلى الاسكندرية وعاد معه إلى رومية ، فخصص له الامبراطور معاشاً ، ومنحه الرعوية الرومانية .

***

(٣٨) أَمُّون — آمن : Ammon—Amen :

آله طيبة أصلا . ولكن فى عهد الأسرة الثانية عشرة (٢٠٠٠ ق . م) التى حكمت فى طيبة أخذ « أمون الخفى The Hidden One » يتقدم غيره من الآلهة الأخر . ولما استتبَّ الأمر للأسرة الثامنة عشرة فى طيبة أضفى عليه اسم « أَمُّون — رَعْ » .

Amon - Ra Sunteru (Amonra-Sonther) أى إله الآلهة

على أن المكانة العليا التى شغلها أمُّون فى عهد الأسرة الثامنة عشرة ، لم تدم له بعد زوال ملكها طويلا . ولقد قدس فى العالم الإغريقى ، وقرن « بزيوس Zeus » آلهم الأصيل ، كما يتضح من المتن .

***

(٣٩) غرض الاسكندر المقدونى من زيارة سيوة :

علّق ناقد على كتاب « اهرنبرج » الأسكندر فى مصر .

Alexander und Ægypten, Leipzig, 1926.

فى صحيفة الدراسات الهلينيّة .

Journal of Hellenistic Studies, 1926. pp. 282.

فقال إنّ غرض الأسكندر من حملته إلى سيوه كان حربيا ، وأنه كان فزعا من القبائل اللوبية التى كانت تغير على مصر من جهة الغرب ، وكانت تتخذ الواحات مركزاً لتعبئتها الحربية ، فأراد أن يختبر الأمر بنفسه ، واتخذ الغرض الدينى ستاراً يستر به حقيقة غرضه . ونشرت (التيمس) فى عددها الصادر فى ٧ من يناير سنة ١٩٢٧ لأحد مراسليها نظرية تماثل هذه النظرية ، ولا يبعد أن يكون ذلك الناقد هو نفس المراسل ؛ ولقد أرسل مستر « هوجرث » كتابا إلى التيمس ونشر فى ١٢ من يناير سنة ١٩٢٧ جاء فيه : « إن هذه النظرية لم يشر إليها مؤرخ واحد من الأقدمين ، فضلاً عن أنّ المرجحات تنابذها ، فانّ موقع سـيوة لم يكن فى يوم من الأيام ذا شأن خطير من الوجهة الحربية ؛ أضف إلى ذلك أن الأسكندر على قدر ما نعرف ، لم يترك هنالك حامية ، ولم يتخذ سيوه موضعا للاستكشاف أو الدفاع » . اهـ

أما إذا كان غرض الأسكندر من زيارة سيوة هو الغرض الذى ذكره ذلك الناقد ، فليس من سبب لأن يهمل بطلميوس (وقد نقل عنه أريان) ذكره أو الإشارة إليه ؛ كذلك لا تجد لهذا الأمر من ذكر فى ما كتب مؤرخ من مؤرخى القدماء . وعندى أن نظرية هذا الناقد ومعها نظرية مراسل التيمس ، إنما تدلّان بجلاء على ناحية من الضعف ، هى الرغبة فى الظهور بمظهر القدرة على الاستقراء من بين السطور ، كلّ ما يخيل للمرء أنه كان من الممكن أن يجد محلاً للذكر ، و بخاصة فى المواضع التى تتسع إلى تزويد القدماء بصفات ومناقب يتصف بها رجال القرن العشرين ؛ و إنّ رجلاً من رجال هذا العصر قلّما يهزه غرض دينى خيالى إلى زيارة واحة سيوه ، ولكن ذلك كان من أخلاق رجل أغريقى قديم ، بَلْهَ الأسكندر المقدونى . ولا شكّ فى أن الأسكندر كان يريد أن يسوق نفسه فى زمرة الأبطال ، فى عصر كانت البطولة طابعه الأول . لذلك أرى أن الباعث الذى ذكره معاصره « قلثنيس » فى أن يعمل مثل ماعمل سلفه « فِرْسَاوُس » قبل الإقدام على مخاطراته ، فيه من نواحى الترجيح أضعاف ما فى تلك النظرية التى ذكرناها ؛ وكذلك لا يجب أن نغفل عن أنّ قول مراسل التيمس الذى أشرنا إليه من أن « كهانة » أَمُّون كانت قد فقدت فى عصر الأسكندر كلّ ما كان لها من جلالة فى العالم الإغريقى ، أمر يناقضه ما قرّر فى « بولى — فِزُّوڤا Pauly — Wissowa » فى مقال عنوانه « الأَمُّونيُون Ammoneion » ، كذلك ذكر أفلاطون فى « القوانين » وهو كتاب حرّر قبل زيارة الأسكندر لهيكل أَمُّون بعشرين سنة ، الكهانات ذوات الشأن فى العالم الإغريقى ، فأحصى ثلاثا

هى (دلفى Delphi ودودنا Dodona وأمُون Ammon) ، وذكر أنها موئل الذين يشعرون بالحاجة إلى النصح القدسى ، بل كان لنا أن نعجب بحق ، إذا كان الاسكندر لم يزر أمون ، ولم يلجأ إلى استيحائه ، وهو بعد ذلك الإغريقى الأصيل دما وميولاً ، ما دام قد هبط مصر ، وأصبح بمقربة من مهبط الوحى الأعلى — (عن إذون بيقَن) .

***

(٤٠) إِكْرُوسَس : Crœsus :

(ملك لوديا Lydia) وأبوه الملك (أُلْيَاطِسْ Alyattes) ، وقد خلفه اكروسس على العرش سنة ٥٦٠ ق . م . فأخضع لحكمه (الأيونيين Ionians) ، (والأيوليين Æolians) وغيرهم من الشعوب المجاورة لمملكته ، وفى أواخر عهده كان يحكم كلّ البلاد الواقعة بين شواطىء آسيا الصغرى الشمالية والغربية ، حتى حدود « هَالِسْ Halys » شرقا وجبال « طورُوس » جنوبا .

ويروى هيرودوتس أنّ الحكيم « صولون Solon » استضافه ، فأراه « إكروسس » خزائنه وكنوزه وأمواله ، وقال لصولون إنه أسعد الناس ، فأجابه صولون : « لا يعرف الإنسان أسعيد هو أم شقى حتى يموت » .

واستوحى مرة هاتف « دلفى Delphi » فغشته الكهانة هنالك وأوحت إليه أنه سوف ينتصر على الفرس إذا حاربهم ، فأعلن عليهم الحرب فى سنة ٥٤٦ ق . م ولكن « قُورُش Cyrus » هزمه شر هزيمة وأخذه أسيراً ، ثم حكم عليه بأن يموت حرقا ، فلما وقف من فوق المحرقة ، تذكّر كلمات « صولون » فصاح بكل قوة : « صولون ! صولون ! » وأراد

قورش أن يعرف مَنْ ينادى ! فلما سمع رواية صولون ألغى حكمه وقرّبه وخصه بكثير من التشاريف .

***

(٤١) فِنْدَارُس : Pindar ; In Lat. Pindarus :

أعظم من نظَم الشعر الغنائى من الأغارقة ، ولد فى « قُونُوسِفَالَه Cynosephalae » بالقرب من « طيبة » الإغريق — Thebes ، فى سنة ٥٢٢ ق . م ومات فى « أرغوس Argos » سنة ٤٤٣ ق . م . وأمضى أكثر أيام عمره فى « طيبه » ، ولكنه سلخ أكثر من أربع سنوات فى بلاط « إيرون Hieron » فى سِيْرَاقُوز ؛ والمعروف عن حياته قليل ؛ ولكن ما وصل إلى عصرنا من أشعاره ، يدل أنه طرق كل أبواب الشعر الغنائى ، فلم يترك فيها موضعاً لابتكار غيره من الشعراء الأقدمين .

***

(٤٢) إلْيَا والإلْيَاوِيُّون : Eleans :

تعرف فى اليونانية باسم « إلْيَا Elea » وفى اللاتينية باسم « Helia or Velia » ، وهى جزء من إغريقية الكبرى Mgana Græcia كان بها مدرسة فلسفية عظيمة الأثر فى دوائر المعرفة القديمة ؛ وأشهر فلاسفتها « فَرْمِنِيذِيس Parmenides » و « زِيْنُون Zeno » .

***

(٤٣) اسْبَرْطه والاسْبَرْطِيُّون : Spartans :

اسبَرْطه أو « لَاقِيذِيمُونَه Lacedaemon مدينة إغريقية قديمة فى

مقاطعـة « لاقونيا Laconia » ، وقد ظهرت عظمتها فى تاريخ الحضارة اليونانية بعد أن شرع لها « لُوكُرْغُوس Lycurgus » فى القرن التاسع قبل الميـــلاد ، وفى خلال القرنين السابع والثامن غزت « مِسِّينيا Messinia » ، وكانت أقوى الدويلات الإغريقيـة المدينية فى القرن السادسَ قبل الميلاد ، وحكومتها عنوان الحـكومات الارستقراطية ، وكان لها أثر رئيس فى الحروب الفارسـية قبل الأسكندر ، كما أنها حاربت مع حلفائها مدينة أثينا فى الحرب الفِيلُو بُونيَّة Peloponnessian ، ثم أخذت بعد ذلك فى الضعف والانحلال ، حتى دخلت فى حكم الرومان سنة ١٤٦ ق . م .

***

(٤٤) أثِينَا والأَثِينِيُّون : Athens and the Athenians :

مدينة أثِينَا : أخذت اسمها فى الغالب من اسم أثينا آلهة الحـكمة عند الإغريق ، وقد نشأت هذه المدينة من حول « الأكروبول » الإغريقى والتـلال المجاورة له ، وأهمها تل « أَرْيُوفَاغُوس — Areopagus » ، « وفنـكِس — Pinx » وهى عاصمة إغريقية وأكبر مدنها وأعظم مدينة فى « أتِّيكا — Attica » كلها ، وتقع على خمسـة أميال منها ، ميناؤها « بيراوس — Piraeus » ، (بيريه الآن) ، وشهرتهـا تغنى عن التعريف بها .

***

(٤٥) أُرِيفِيذِس : Euripedes :

ولد فى « سـلاميس — Salamis » ، فى يوم ٢٣ من سبتمبر

سنة ٤٨٠ ق . م . فى الغالب ، ومات سنة ٤٠٦ ق . م . وهو من أشهر من نظم المآسى من الأغارقة . أبوه « أمْنِيسَارْخُوس — Mnesarchus » وأمه « إقْلِيطُون — Clieto » ، والظاهر أنهما هجرا أثينا إلى سلاميس عقيب غزوة « إجْزِرْسِيز — Xerxes » الفارسى . و يقال إن الشاعر ولد فى جزيرة سلاميس ليلة حدوث المعركة البحرية المعروفة باسمها فى التاريخ . ودرس علم الطبيعة على « أنَكْسَاغُورَاس Anaxagoras » والبلاغة على « فُرُوذِيقُوس — Prodicus » ، ولما بلغ الخامسة بعد العشرين من عمره ألّف روايته المعروفة باسم « فلياذس Peliades » ، وهى أول رواياته التى مثلت على المسرح ؛ ويقال إنه نال خمس جوائز فى مباريات أدبية بين كتّاب المآسى ، أولاها سنة ٤٤١ ق . م .

وهجر أثينا إلى بلاط « أرْخِيلاَوس — Archelaus » ملك مقدونيا حوالى سنة ٤٠٨ ق . م . وقيل إنه هجرها فراراً من سخرية الناس به عقيب ما كتب « سُوفُوقْلِيس — Sophocles » ، « وأرِسْطُوفَانِس — Aristophanes » فيه ، ومات فى البلاط المقدونى .

وفى رواية لم تثبت صحتها : أنه مات بأن أطلق عليه « أرِّيذَاوُس — Arrhidaeus » ، « وإقْرَطْيَاس — Crateuas » وهما شاعران مقدونيان كان يناظرهما ، طائفة من كلاب الصيد تركته مِزَقاً . فاحتفل الملك « أرخيلاوس » بدفنه احتفالا فخما عظيما ، ورفض أن يسلم جثته لأهل أثينا ؛ وكتب ٧٥ رواية لم يصلنا منها إلا ١٨ ، وقد ترجمت إلى كثير من اللغات الحية ، ما عدا العربية مع أشد الأسف .

***

(٤٦) فِرْسَاوُس : Perseus :

فى الميثولوجيا الإغريقيــة بطل أبوه « زيوس — Zeus » ، أو « ذانايه — Danæ » قتل الغَرْغُونَة « مِدْيُوسَا — Gorgon Medusa » ثم خلّص بعد ذلك « أَنْدْرُوميذَا — Andromeda » (المرأة المسلسلة) من وحش بحرى أريد بها أن تكون فريسة له ، وذلك فى قصة خرافية طويلة ، ليس هنا مكان سردها .

***

(٤٧) هِيرَقْلِيس (أو) هِرْقُولِيْس : Herakles (or) Hercules :

فى الميثولوجيا اليونانية والرومانية ، بطل أيّد ذو مرّة ، منشؤه الأساطير اليونانية ، وانتحله الرومان ثم عبدوه على أنه إله القوة الجسمانية والشجاعة ، وما يمت إليهما من الصفات . وتنص العبارات الميثولوجية على أن أباه « زيوس — Zeus » عند اليونان و « يُوبِيتَر — Jupiter » عند الرومان ، أراد أن يعده لأن يكون سيداً وملكا على « طِيرُنس — Tiryns » وراثة عن أمه « أَلْقَمِينَه — Alcmene » حفيدة « فرساوس » ولـكنه منع من ذلك بتدخل « هيرا — Hera » الإلهة اليونانية وتسمى عند الرومان « يونو — Juno » .

وبعــد أن قام « هيرقليس » بأعمال من البطولة خارقة للعادة فى مدينة « طيبة » الإغريق ، وافقت « هيرا » على أن يمنح الخلود . وفى كتب الميثولوجيا تعداد هذه الأعمال مفصلة .

ولقد اعتقد النقاد منذ زمان ، أن « هيرقليس » عند الرومان واليونان

هو نفس إله الشمس عنـد الفينيقيين . وزادوا إلى ذلك أن الفينيقيين انتحلوا هـذا الإله عن الأكاديّين Accadians فى بابل . فلا عجب إذن إذا قضينا بأن اسطورة « افروديت وأدونيس Aphrodite and Adonis » اليونانية ، انما تنظر إلى اسطورة عِشْتَار — Istar ، وتَمُّوز — Tammuz الكلدانية ، كما تنظر اسطورة هـيرقل إلى أسطورة « غشدوبار — Gisdhubar » ، فإن كثيراً من أعمال البطولة التى تنسب إلى الأول ، تروى منسوبة إلى الثانى ، مع اختلاف المكان ، وقليل من التفاصيل .

* * *

(٤٨) قَلِّشْنِيس : Callisthenes :

فيلسوف يونانى ولد بمدينة « أُولُنْثُوس — Olynthus » فى مقدونيا ومات سنة ٣٢٨ ق . م . وهو من ذوى قرابة أرسطوطاليس وتلاميذه ، وممن رافقوا الأسكندر المقدونى إلى آسـيا ؛ ولقد تنبأ بسوء منقلب الأسكندر وجاهر بذلك ، فلا يبعد أن يكون قد قتل بأمر من الملك .

* * *

(٤٩) فَرَطُنْيُوم : Paraetonium أو أَمُّونْيَا Ammonia :

إشارة إلى علاقتها بمعبد أَمُّون المقدّس ، وكانت مدينة عظيمة على شاطئ إفريقية الشمالى ، تابعة لمصر سياسيا ، وكانت هـذه المدينة فى الغرب ، وفلوسيوم فى الشرق تسميان : « قُرْنَتَا مِصْر — Cornua Ægypti » ، وقد صاغ الشعراء من اسم المدينة « نعْتاً — Parætonius » لاستعماله فى معنى عام للدلالة على كل ما هو مصرى .

* * *

(٥٠) دِيُوذُورس : Diodorus :

ويكنّى « سِقيُولُوس — Siculus » من « صقلية — Sicily »
عاش فى النصف الأخير من القرن الأول من الميلاد ، وهو مؤلف
إغريقى عظيم ؛ ألف كتابا فى التاريخ يقع فى أربعين مجلداً وسماه :
« المكتبة التاريخية — Historical Library » ، ويبدأ بحوادث
سنة ١١٣٨ ق . م .

ويمكن الوقوف على أقسامه من المراجع الكبرى ، كدائرة المعارف
البريطانية وموسوعة « سنشورى » للأسماء .

***

(٥١) الإبل فى حملة سيوة :

خلق المؤرخ « مهفى » مشكلة تتعلق بهذه الرحلة لم يكن لها وجود
من قبل . قال : « مما يلاحظ بعجب أن المؤرخين لم يذكروا أن الجمل قد
استعمل كدابة من دواب الحمل والسفر فى هذه الرحلة » وأراد أن يعالج
هذا الأمر ، فزعم أن الجمل لم يكن قد عرف فى مصر كحيوان مستأنس فى
ذلك العهد . وفى قوله هذا دليل قاطع على أنه لم يطلع على ما كتب
المؤرخ كِيرْتيُوس (ف ٤ — ص ٧ — ١٢)

Aqua etiam defecerat, quam utribus cameli vexerant.

(عن إدون بيفن)

***

(٥٢) ظواهر إعجازية فى حملة سيوة :

روى « ماسبيرو » عبارة تضمنت أمراً عجباً عن رحّالة فى القرن

التاسع عشر اسمه « بايل سانت جون » زار سيوه فى سنة ١٨٤٧ . فقد ضل ورفقاؤه فى عرض الصحراء ، ولم يتيسر لهم الاهتداء إلى الدرب ، وقد تراكمت عليه الرمال وحجبته قال : « و بينما نحن فى حيرتنا وشكّنا ، رأينا غرابين حوّما فى الهواء هنيهة ، ثم اتجها نحو الجنوب الغربى ؛ فلو كنا فى عصر راجت فيه الأساطير والخرافات ، إذن لاتخذنا من هذا الحادث عبرة ، واتجهنا فى أثر الغرابين ، معتقدين أنهما من أعقاب الغرابين اللذين تروى التقاليد القديمة أنهما ، فى حالة مثل هذه ، قادا زحف الأسكندر وخلصاه من مهلكة الصحراء وتيهها الموحش ، ولو أننا تبعناهما لما ضللنا الطريق . غير أننا لم نتبع وحى خيالنا ، وظللنا ننتظر عودة الدليل الذى استطاع أن يهتدى بذلك ، إلى أمثل طريقة يرجع فيها عن خطئه » .

(كتاب مخاطرات فى صحراء لوبيا ، طبع سنة ١٨٤٩ ص ٦٩)

(عن إدون بيفن)

***

(٥٣) بطلميوس بن لاغوس : Ptolemy, Son of Lagos :

جرى الكتّاب على أن يقولوا البطالسة ، والحقيقة البطالمة ، وأن يقولوا بطليموس ، والحقيقة بطلميوس ، بحسب ترتيب الأحرف الأصلية للاسم ، فإن « السين S » حرف ليس من بنية الاسم ، بل هو علامة إعراب تضاف إلى الأسماء فى حالة الرفع ؛ أضف إلى ذلك أن الاسم يرسم هكذا Ptolemaios بتقديم « الميم M » على الياء والرومان يقولون : Ptolemais باعتبار « السين S » كالضمة فى العربية ، فحذف المعرّبون عند الجمع الحرف الأصيل وهو الميم ، وأبقوا علامة الإعراب وهى

« السين S » ، فالواجب إذن أن نقول بطلميوس والبطالمة لا بطليموس والبطالسة . أما إذا أردنا أن نتحرّى الدقة التامة ، وجب أن نقول فطلميوس والفطالمة ، ذلك بأن الحرف P يقلب « فاء » عند التعريب باطّراد ، كما فى « أفلاطون — Plato » و « فيثاغورس — Pythagoras » كلما أردنا تعريب اسم يونانى أو اسم رومانى أصله يونانى .

***

(٥٤) العصر الصَّاوِى : The Saite Epoch :

نسبة إلى مدينة « سايس » أو « صان — Sais » ، وتقع على فرع رشيد النيلى بالقرب من الخط ٣١ من خطوط الطول ، ولا تزال خرائبها بينة المعالم للآن بالقرب من قرية « صا الحجر » ، وكانت فى العصر القديم من أعظم المدن التجارية ، كما كانت مقرا للعلوم ، وكانت لعهد مّا عاصمة الوجه البحرى ، وفيها حكم الملوك « الصاويون » أو « الأسر الصاوية » ، (وهى الأسر ٢٤ و ٢٦ و ٢٨) وكان « نيث — Neith » إلهها الخاص .

***

(٥٥) دِلْفِى : Delphi :

قرية قديمة كانت تقوم مكان قرية « كَسْترى — Kastri » الحديثة ، وهى فى الجغرافية القديمة احدى مدن « فوقيس » باغريقية على ستة أميال من الخليج القُورَنْثِى عند سفح جبل « فَرْنَاسُوس — Parnassus » وكانت مقرا لكهانة « أبولون الفوثى — Pythian Apollo » وأشهر كهانات الدنيا القديمة قاطبة ، ويرجع تأسيسها إلى عصر ما قبل

التاريخ ؛ فلا يتيسر اليوم تعيين الزمان الذى بدأت فيه كهانة « دلفى » فى الوجود ، ولقد ظلت ذات أثر بيّن طوال عصور التاريخ القديم حتى أمر الامبراطور « ثيودوسيوس — Theodosius » بالغائها فى القرن الرابع بعد الميلاد ، وكانت من أغنى الأماكن الدينية فى العالم القديم ؛ أما الآن فقد زالت معالم المعبد ، ولكن المنقبين أخذوا فى الكشف عنه منذ سنة ١٨٩٢ ، ولما بدأوا الحفر ، ألفَوْا أن الكشف عن المعبد عسير ، لأن مبانى القرية الحديثة تقوم من فوقه ، فنقلت القرية من مكانها ، وبذلك تسنى للمنقّبين الكشف عن الهيكل ، فعثر على معبد « لأپولون — Apollo » ومسرح كبير ودار للندوة مع كثير من الآثار الفنية النادرة ، وعدد من التماثيل لا يقوّم بثمن .

***

(٥٦) بَرَنْخِيْذَا : Branchidæ :

فى الجغرافية القديمة بلدة صغيرة فى مقاطعة « سُجْدِيَانَا — Sogdiana » ويقال أن كهنة « أبولون دِيذِيْمَايُس — Apollo Didymaeus » بنوها بالقرب من « مليطوس — Miletus » وهدمها الأسكندر الأكبر .

أما هيكل « أبولون ديذيمايس » فأعيد بناؤه من بعد ذلك ، ووضع تصميمه عن سعة ، حتى أنه لم يكمل بناؤه بالرغم مما بذل فيه من جهد ، فقد كان ١٦٨ قدماً عرضاً و ٣٦٢ قدماً طولا أى ٥٠,٤٠ × ١٠٨,٦٠ متراً

أما إطلاق اسم « برنخيذا — Barnchidæ » على مكان ، فغريب . فإنه اسم أسرة كهنوتية توارثت الكهانة فى هذا المعبد . وفى التقاليد المنقولة أنهم يرجعون إلى جد اسمه « بَرَنْخوس — Branchus » أصله من

« تساليا — Thessaly » أو من « دلفي » وأنه كان أول من أسس كهانة في ذلك المعبد .

***

(٥٧) أسطورة الأسكندر : The Romance of Alexander :

كان من الطبيعي أن تلفت شخاصة الأسكندر الأنظار إليه بعد أن استطاع بغزواته وحروبه أن يهز أرجاء العالم القديم . لهذا تجد أن أسطورة الأسكندر قد كتبت وذاعت في كل لغات الدنيا القديمة من الهند إلى بحر الظلمات ، ولكنها جميعاً مستمدة من أصل إغريقي انتحل خطأ على «قلثنيس» ، ولقد ظهر بعد ، أن هذه الخرافة كتبها في مصر من يدعى « إيْسُوفُسْ — Aisops » في خلال القرن الثاني بعد الميلاد ، غير أن هذا الكتاب أو القصة ، ليست إلا نتفاً متفرقة جمعت بين التاريخ والأسطورة ، بل تضمنت قصصاً خرافية أصلها بابلي . وفي النسخة الفارسية نص على أن الأسكندر بن « دارا » ، ثم انتقل بعد ذلك فصار نبيا ، يعمل على هدم الأوثان وتقويض الوثنية ، ثم أصبح عند كهان النصارى ، ناسكا قديساً .

وقد نقلت هذه الخرافة إلى أوربا عن طريق هذا الكتاب ، لا عن طريق الرواية التي رواها « كنتوس كيرتيوس » وهي أقل تطوحاً مع الأساطير من الأولى ، فقد ترجم رواية « قلثنيس » (المنتحلة عليه) مترجم روماني اسمه « يوليوس واليريوس — Julius Valerius » في نهاية القرن الثالث واقعة في أجزاء ، ففي الجزء الأول رواية مولده ومخاطراته في شبابه ، وفيه أن خطر الأسكندر وقدره العظيم إنما يعودان

إلى أن أباه فى الحقيقة « نقطانيبو — Nectanibo » آخر ملوك الفراعنة الذى طرده الفرس من بلاده ، وكان من كبار السحرة بحيث يستطيع أن يجبل من الشمع صوراً لجيوش أعدائه وأساطيلهم ، و يستطيع بسحره أن يوجه حركاتهم كيفما يشاء ، فلما طرد فر إلى « فِلاَّ — Pella » فى مقدونيا ، وأخـذ يمارس « الهَلْجَ — Astrology » ، فاستقدمته « أولمبياس — Olympias » (أم الأسكندر) إليها ، وكانت عاقراً لا ولد لها ، فوعدها بأن « زيوس » — « أمُّون » سوف يزورها متقمصاً صورة أفعوان . ثم استخفى « نقطانيبو » فى هذه الصورة وخالطها فولدت الأسكندر ، ولـكن الشك أكل صدر الملك « فيلبس » زوجها ، ولم يؤمن بصحة ما سمع إلا بعد أن تجلى له الأفعوان مرة أخرى ، وأشيعت بنوة الأسكندر للآلهين العظيمين .

وكان الأسكندر ضعيف الجسم ، ولـكنه كان عظيم الشجاعة موفور الذكاء ، فلما بلغ الثانية عشرة من عمره شرع « نقطانيبو » يعلمه فن النجوم ، ولـكنه مات بعد أن وقع فى غور ، يقال إن الأسكندر رماه فيه مازحا . وفى هذا الجزء رواية عن غزواته فى إيطاليا و إفريقية وآسيا الصغرى ، ثم رجوعه إلى « مقدونيا » و إخضاع إفريقية . وفى الجزء الثانى ذكر لبقية غزواته . وفى الثالث ذكر انتصاره على « فورس — Porus » وعلاقاته بالبراهمة ، وكتابه إلى أرسطوطاليس الذى يروى فيـه عجائب الهنـد ، والأمازونات (النساء المحاربات) ، وكتابه إلى « أولمبياس » (أمه) عن عجائب آسـيا الصغرى ؛ وفى النهاية عبارات عن موت الأسكندر فى بابل .

***

(٥٨) آلهة الهند : The Gods of India :

العبارة التى وردت فى المتن عن تضحية الأسكندر لبعض من آلهة الهند ، منقولة عن العلامة « إدون بيفن » ، وقد يستفاد منها أحد أشياء ثلاثة :

(١) أن الأسكندر قد ضحى لآلهة من الهند قبل هبوطه معبد « آمن » فسئل عن سبب ذلك ؟

(٢) أنه ضحّى لبعض من هـذه الآلهة بعد عودته من زيارة معبد « آمن » فأرسل إليه الهاتف يستوضحه سبب ذلك .

(٣) أن الأسكندر ضحّى للآلهة الهندية عند ما عزم على غزو الهند بعد غزوه بلاد فارس . فلما مات قائده « هِفَسْطِيُون » أرسل إلى المعبد الأقدس رسلاً ليسأل هل يجوز أن يعبد هفسطيون على أنه إله ، وردّ عليه الهاتف بأنه يجوز عبادته كبطل ؛ أرسل مع هذا الرد سؤالا يستوضح فيه الأسكندر السبب الذى من أجله ضحّى لبعض آلهة الهند؟

والواقع أنه لا يستفاد من فحوى العبارة غير وجه من هـذه الوجوه الثلاثة ؛ ويجب أن نعلم أن السبب فى استيضاح « آمن » يرجع إلى القول بأن الأسكندر ابنه ، فلا يجوز أن يضحّى لغيره .

***

(٥٩) هِفَسْطِيون : Haephastion :

كان هِفَسْطِيُون من القوّاد المقرّبين من الأسكندر ، بل كان و « أومينس — Eumenes » أكثر رجاله قربا من قلبه ، ولما كان الأسكندر فى « إقْبَطَانَة — Ecbatana » حُمّ « هِفَسْطِيُون » ، وعاجلته المنية ، وفى رواية دائرة المعارف البريطانية (٤٥٢ — ١١ — ط ١٤)

أن الأسكندر زوّجه من « ذِرِيفِيطس — Drypetis » أخت زوجة الأسكندر « إسْطَاطِيرَه » وفى رواية « جُرُوت — G. Grote » (تاريخ اليونان ١٧٥ — ١٨٠ — ١٢) أنه لما مات « هفَسْطيون » حزن الأسكندر لموته أشد الحزن حتى لقد أمر بقتل الطبيب « غلوقياس » لأنه لم يحسن علاجه ، وأنفق على جنازته والاحتفال باحراق جثته ١٠,٠٠٠ طالنطن (أى ٢,٣٠٠,٠٠٠ جنيه) ، وأرسل رسلا إلى هاتف « أمُّون » يسأل إذا كان من الجائز أن يعبد « هفَسْطيون » على أنه إله ، فكان جواب « أمُّون » أن عبادته تجوز على أنه بطل Hero ، وهو نوع من العبادة أقل منزلة من عبادة الآلهة ، فسرّ الأسكندر بذلك ، وأمر أن تقام له الهياكل والمحاريب ، وشيدت له مقصورة أو مَقدَسٌ فى الأسكندرية و « فِلاَّ — Pella » بمقدونيا ، وربما تكون قد شيدت هياكل أخر فى غيرهما من المدن . ويقول « جروت » إن مجموع ما أنفق على جنازة « هفَسْطيون » ببابل والاحتفالات التى أقيمت لإحراق جثته بلغ ١٢,٠٠٠ طالنطن (أى ٢,٧٦٠,٠٠٠ جنيهاً إنجليزيا) ولا يبعد أن يكون الأسكندر قد ضحّى لآلهة الهند فى أثناء ما أقام من احتفالات فى جنازة هفَسْطيون ، وهذا ليس بالشيء البعيد على عقلية الأسكندر .

***

(٦٠) هُوجَرْث : D. G. Hogarth :

عالم انجليزى اختص بدرس الآثار القديمة ، ولد فى ٢٣ من مايو سنة ١٨٦٢ ، وكان أبوه من رجال الكنيسة ؛ ومات باكسفورد فى ٦ من

نوفمبر من سنة ١٩٢٧ ، وكان رئيساً للجمعية الجغرافية الملكية سنة ١٩٢٥ ، وأميناً للمتحف الأشمولى سنة ١٩٠٩ .

ولم يقتصر نبوغه على العلم وحده ، بل كان رجل عمل وكفاح ، ويكفى أن نعرف أنه كان رئيساً للمكتب العربى بالقاهرة فى أثناء الحرب العظمى .

أما أعماله العلمية فقد انحصرت فى مؤلفاته مضافاً إليها بحوثه الأثرية فى البلاد الحافة بشرق البحر المتوسط ، ومنها قبرص ومصر وافسوس وقرشميش واقريطش (كريت) من سنة ١٨٨٧ إلى سنة ١٩٠٧ .

وفى سنة ١٩١٥ أوفد إلى مصر بطلب خاص من مدير المخابرات البحرية البريطانية ، ومنح رتبة مؤقتة فى الجيش ، ليشرف على مصير العلاقات مع زعماء العرب ، تلك العلاقات التى كان الغرض منها قيام الثورة العربية ضد العثمانيين . وفى سنة ١٩١٦ شرع فى وضع مشروع للأسس التى يقوم عليها المكتب العربى فى القاهرة ، مستعيناً بعدد من الرجال الأفذاذ أمثال « جرترود بل » و « مارك سايكس » و « كولونيل لورنس » المعروف ، وغيرهم من العظماء .

وقفل راجعاً إلى لندن ليدرس أحوال العرب ومشكلات الشرق الأوسط ، ثم هبط القاهرة ثانية فى أواخر سنى الحرب ، وفى سنة ١٩١٩ كان مندوباً عن بريطانيا لرياسة لجنة الشرق الأوسط فى مؤتمر الصلح بباريس .

ومن مؤلفاته :

1 — A Wondering Scholer in the Levant (1896.)
2 — Philip and Alexander of Macedon (1897.)

3 — The Nearer East (1902.)
4 — The Penetration of Arabia (1904.)
5 — Carchemish 1 (1914.)
6 — The Wandering Scholer (1925.)
7 — Kings of the Hittites (1926.)

***

(٦١) ذو القرنين :

الذى نعرفه أن ذا القرنين الذى ذكر فى القرآن الكريم عربى يمنى وليس الأسكندر المقدونى . وأذكر أنى اطلعت مرّة أن ملكاً من ملوك حمير يسمى الصعب ويلقب بذى القرنين ، وذلك فى كتاب التيجان لابن هشام ، وبروايه وهب بن منبه ؛ ولما كنت غير متحقق من ذلك كتبت للأستاذ « ا . ه . ر . جب A. H. R. Gibb » كتابا استوضحه فيه هذا الأمر فأجاب حفظه الله بما يأتى :

« أظن الكلمة التى تعنيها فى شأن ذى القرنين ، والتبع الصعب هو ما كتب الأستاذ « نكلسون — Nicholson » فى كتاب « تاريخ أدب العرب » ص ١٧ ، ولا أعرف من ذكر ذلك من مؤلفى العرب غير اليمنيين مثل نشوان بن سعيد الحميرى فى كتاب « شمس العلوم » ، وقد قال هذا ما نصه : « الصعب اسم ذى القرنين السيّار ، قال لبيد :

لو كان حى بالحياة مخلداً فى الدهر خلده أبو يكسوم
والصعب ذى القرنين أصبح ثاويا بالحنو فى جدث هناك مقيم

وعن على بن أبى طالب وابن عمه عبد الله بن عباد (رضى الله عنهما) أن ذا القرنين السيار هو الصعب بن عبد الله بن مالك بن زيد بن سدد

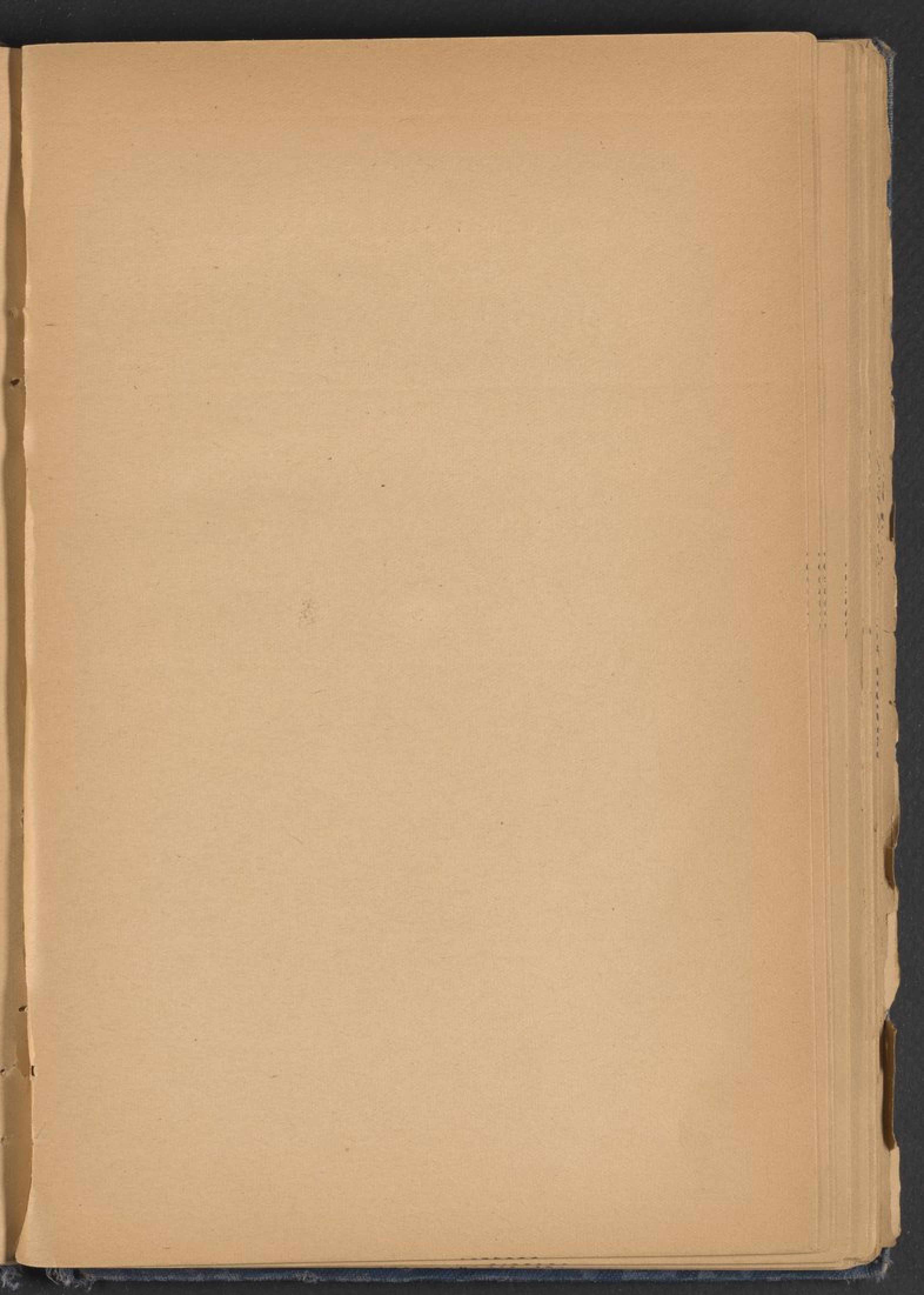
ابن حمير الأصغر ، وقد أوضحت فى كتاب « القاف » أن ذا القرنين الذى بنى سد يأجوج ومأجوج هو تبع الأقرن » ا . هـ

غير أن ذيوع أسطورة الإسكندر التى شرحنا طرفاً منها قبل ، يجعل البحث فى هذا الأمر والقطع فيه برأى من أصعب الأمور .

***

(٦٢) أرِسطوبُولس : Aristobulus :

أحد قواد جيش الأسكندر الأكبر ، وقد كتب تاريخا لغزواته الأسيوية ، وعاش فى القرن الرابع قبل الميلاد .



فهارس الكتاب

فهرس الحوادث التاريخية

ق . م

٢٥٠٠ — بدء حكم الهكسوس فى مصر (على وجه التقريب)

٣٤٢ — غزو الفرس مصر

٣٣٦ — أرسل فيلبس المقدونى حملة حربية إلى آسيا الصغرى

٣٣٤ — هاجم الأسكندر على رأس قوى الدويلات الهلينية، القيصرية الفارسية

٣٣٤ — موقعة غِرَنِيقُس بين الأسكندر والفرس، وحدثت فى شهر مايو أو يونيه

٣٣٣ — موقعة إسُّوس، بين المقدونيين بقيادة الأسكندر، والفرس بقيادة دارا؛ وحدثت فى شهر أكتوبر

٣٣٢ — ٣٢٣ — تسع سنوات هى المدة التى ظلت فيها مصر تابعة لقيصرية الأسكندر

٣٣٢ — فتح الأسكندر مدينة صور وخربها

٣٣٢ — دخول الأسكندر مصر

٣٣٢ — تأسيس مدينة الأسكندرية، فى ٢٥ من شهر طيبى (طوبه) المصرى = ٢١ من يناير

٣٣١ — زيارة الأسكندر لمعبد أمُّون بواحة سيوة، ومغادرة الأسكندر مصر لمهاجمة الفرس فيما بين النهرين

٣٢٣ — موت الأسكندر بمدينة بابل

فهرس الموضوعات

صحيفة

صحيفة

فهرس التعليقات

صحيفة

فهرس الأسماء

بحسب الهجاء الإفرنجي ومقابلها المُعَرَّب

(A)

(D)

(V)

(X)

(Z)

فهرس الأسماء

بحسب الهجاء العربى

(ج)

(د)

(ه)

تصحيحات

ص	سطر	خطأ	صواب
١٠	٣٢	لمحراب	المحراب
١٨	٢٥	oralce	Oracle
٥	٣٩	أمُون	أمُّون
٦	٤١	الخيوس	الخيوسى
١٨	٤١	Peleesis	Peteesis

تنبيه : أقر مجمع اللغة العربية الملكى قواعد فى كتابة الأعلام الأعجمية بحروف عربية ، وقواعد فى رسم الأعلام اليونانية واللاتينية ، لم نستطع تطبيقها فى هذا الكتاب لصعوبات فنية من حيث فن الطباعة ، ولأنه لم ينته من وضع هذه القواعد إلاَّ بعد طبع متن الكتاب ، وسنطبق ذلك فى الطبعات الآتية وإن كنا قد راعينا أصول التعريب بقدر المستطاع .



